المرشد إلى الفلسفة

جيم هانكنسون

ترجمة: جورج خوري

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المرشد إلى الفلسفة

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:

بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٨/٨٠٧٩٠٠
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن:

دار الفارس للنشر والتوزيع: عمان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الأولى
١٩٩٠

المقدمــة

ما هي الفلسفة؟

إنها شيء يجب أن تحاول دائماً تجنب شرحه، لكنك قد ترغب في الحصول على شيئين منذ البداية :

أولاً : إن الفلسفة ليست موضوعاً، بل نشاطاً، وتبعاً لذلك فإن الإنسان لا يدرسها، بل يمارسها، وهذه هي الكيفية التي يميل الفلاسفة على الأقل فلاسفة التقليد الانكلو - سكسوني (الذي يشمل لسبب تاريخي غامض الفنلنديين كذلك) إلى النظر إليها، وثانياً إن الفلسفة إلى حد كبير هي قضية تحليل مفهومي، أي التفكير بالتفكير.

حالياً دعونا نتمسك بالأساسيات، وهذا وضع يجده معظم الفلاسفة مستحيلاً من ناحية مزاجيه، ولكن لا يوجد سبب يدعونا لاتباعهم في هذا المجال، فالفلسفة تبدو لزائر عرضي يلقي نظرة سريعة عليها، معقدة بشكل محير، ومن أسباب ذلك أن الفلاسفة، باستثناء بعض الفلاسفة الشرفاء، يجدون من الصعب تماماً أن يتكلموا لغة يفهمها

الشخص العادي، كاللغة الانكليزية، وحتى إذا أراد فيلسوف أن يشير إلى الشخص العادي (وهو نوع ليس من المحتمل أن يكون قد عرفه معرفة مباشرة، رغم أنه ربما يكون قد سمع قصص المسافرين عنه) فإنه يشير إليه بعبارة غامضة.

لهذه فان مهمتك هي أن تصل إلى فهم واهٍ للأبعاد السرية للمفردات التقنية التي يستعملها الفيلسوف المعاصر بشكل محير. ولا تقلق فالمقدرة اللغوية تتعلق بوضع الكلمات بالترتيب الصحيح ولن يكون عليك فعلاً أن تفهم معاني معظم هذه التعابير، هذا إن كانت لها معانٍ على الإطلاق.

حياة الفلاسفة

إن الفلسفة موضوع (آسف، نشاطٌ) ذو تاريخ، ولأنها لا تحرز إلا تقدماً قليلاً، هذا إذا احرزت أي تقدم على الإطلاق، فإن تاريخها أهم من تواريخ المواضيع الأخرى: وعلى القارىء أن يتسلح بمعرفة كاملة بهذا التاريخ، ولأغراض هذا الكتاب فإننا سنحصر بحثنا بالفلسفة الغربية التي بدأت في اليونان في القرن السابع قبل الميلاد، ويوجد سبب جيد لذلك، فالفلسفة في التقليد الغربي

مختلفة تماماً عن فلسفة الشرق، وفي قسم لاحق من هذا الكتاب سنقدم بعض النصائح عن كيفية صرف النظر بشكل ملائم عن أمور كالتأمل والبوذية والديانة الهندية والناس حليقي الرؤوس ذوي الملابس الصفراء القذرة وغيرها من المخاطر الاجتماعية.

لهذا فإن هذا القسم يحتوي على بعض الحقائق الممتعة عن بعض الفلاسفة الشهيرين من ناحية فلسفاتهم وسيرهم، وبترتيب زمني تقريباً.

يعرف الفلاسفة اليونانيون الأوائل بوجه عام، ولو بشكل مضلل، بعبارة من جاءوا قبل سقراط وهي عبارة مضلله لأنهم لم يأتوا جميعاً قبله، وعلى أي حال لم يشكلوا مدرسة متماسكة، ولا أحد يعرف لماذا بدأت الفلسفة عندما بدأت، وقد يحاول بعض الماركسيين تعليل ذلك بعبارات «القوى التاريخية الجدلية التي لا ترحم»، لكننا لا نوصي بتبني هذا الرأي، ومن الملامح الملحوظة للعديد منهم محاولتهم إنقاص المكونات المادية للكون إلى واحد أو أكثر من المواد الأساسية، كالتراب والهواء والنّار والسردين والقبعات القماشية القديمة، إلى آخره.

طاليـــس

(حوالى ٦٢٠ ـ ٥٥٠ ق.م) كان أول فيلسوف معترف به، ربما وجد فلاسفة آخرون قبله، لكن لم يعرفهم أحد، ويذكر طاليس بصورة رئيسية لادعاءين:

١ـ إن كل شيء مكون من الماء، و
٢ـ للمغناطيسات أرواح.

ربما تعتقد أنها لم تكن بداية ميمونة.

اناكسيماندر

(حوالى ٦١٠ ـ ٥٥٠ ق.م)، كان يعتقد بأن كل شيء مصنوع من الحد وغير المحدود، وهو مفهوم له فتنة زائفة إلى أن تتأكد بأن لا معنى له على الإطلاق.

اناكسيمينيس

(حوالى ٥٧٠ ـ ٥١٠ ق.م) انطلق بشجاعة في اتجاه جديد، إذ قال إن كل شيء مكون فعلاً من الهواء.

هيراكليطس

(حوالى ٥٤٠ ـ ٤٩٠ ق.م) اختار النار لكنه ذهب إلى أبعد من ذلك بادعائه أن كل شيء في حالة تغير متواصل

مضيفاً أنك لا تستطيع أن تخطو في نفس النهر مرتين، وأنه لا يوجد فرق بين «فوق» و«تحت» ومن الجدير بالإشارة أحياناً وبشكل عرضي (أفضل طريقة للإشارة إلى الأشياء في الفلسفة) إلى «ما وراء طبيعة هيراكليطس» بمعنى التغير المتواصل طالما لم يوجد خطر اضطرارك لتفسير الأمر، وقد اعجب هيغل (سنتكلم عنه فيما بعد) به، مما يدلنا على هيغل أكثر مما يدلنا على هيراكليطس.

فيثاغوروس

(حوالى ٥٧٠ ـ ٥١٠ ق.م) كما يعرف كل تلميذ اخترع فيثاغوروس المثلث القائم الزاوية، والحقيقة أنه ذهب إلى أبعد من ذلك، معتقداً أن كل شيء مكون من أرقام، كما كان يعتقد بشكل متطرف من التناسخ قائلاً إن تشكيلة واسعة من الأشياء غير المتوقعة، ومنها الشجيرات والفاصوليات، لها أرواح، مما سبّب له مشاكل غذائية وكان سبباً غير مباشر لموته (سيرد بيانه فيما بعد).

امبدوكليس

(حوالى ٥٠٠ ـ ٤٣٠ ق.م) طبيب سياسي خفيف العقل عاش في صقليه (انظر الفصل الثاني عن تفاصيل موته) كان يعتقد أن كل شيء مكون من التراب والهواء والنار

والمـاء وأن هذه المكـونـات تتمـاسك أو تنفصل بالحب والنـزاع، وكـل منهـا تتناوب على السيطرة في دورة تكرر ازلية، وبهذا تجعل الكون يعكس على نطاق واسع صورة الزواج العادي في الضواحي.

ثمَّ تأتي إلى بارمنيدس (٥٢٠ ـ ٤٣٠ ق.م) وماليسوس (٤٨٠ ـ ٤٢٠ ق.م) اللذين ذهبا إلى أبعد من ذلك وبدلاً من تأكيدهما على أن كل شيء مكون من مادة واحدة، ناديا بأنه لا يوجد بالحقيقة إلا شيء واحد، كبير وكروي وغير محدود، لا يتحرك ولا يتغير وبأن كل مظاهر التنوع والحركة والانفصال، إلى غير ذلك، ما هي إلا أوهام، وهذه النظرية غير الاعتيادية والمناقضة للبديهة (والتي تعرف أحياناً بنظرية وحـدانية الكـون) أصبحت محببـه لدى العمـوم بشكـل مدهش، لا شك لأنها توافقت مع خبرات الناس بمؤسسات كالسكك الحديدية البريطانية.ومجلس الغاز البريطاني.

كما أن خليفتهما زينو (٥٠٠ ـ ٤٤٠ ق.م) قدم سلسلة من الحجج المتناقضة ظاهرياً التي تقول بأن لا شيء يمكنه أن يتحرك، وما زال البحث يدور حول أخيل والسلحفاة، وكذلك السهم الذي قال زينو عنه أنه لا يمكن أن يتحرك، وتدور المناقشات بشكل كبير عما إذا كان الفضاء والزمن

يمكن تقسيمهما بشكل لا نهائي، وعما إذا كان يتكون أحدهما أو كلاهما من كمٍّ غير قابل للانفصال ـ اذكر ذلك لتعطي زينو مظهراً عصرياً وإذا طلب منك أن تؤازر هذا القول، اعمد إلى تغيير الموضوع.

وآخر الفلاسفة الذين اتوا قبل سقراط هما الذريان ديموقريطس (حوالى ٤٥٠ ـ ٣٦٠ ق.م) ولوسيبوس (٤٥٠ ـ ٣٩٠ ق.م) اللذان يعتبران أحياناً مسؤولين عن استباق النظرية الذرية الحديثة، إن هذا خطأ تماماً، ويحصل الإنسان على فوز مفيد عندما يقول ذلك، وذلك لأن الشيء الحاسم الخاص بذرات ديموقريطس هو أنها لا يمكن شقها بينما يمكن شق الذرات الحديثه كما يمكنك أن تشير إلى أن ديموقريطس لم يحب الجنس، ولسنا ندري سبب ذلك

والآن نصل إلى سقراط نفسه (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق.م). انه لم يكتب شيئاً، ونحن نعتمد على افلاطون فيما يتعلق بمعلوماتنا عنه، وأنه لأمر محير أن نعرف مدى إبراز افلاطون لآراء سقراط الخاصة ومدى استعماله لاسمه، على أنك يجب ألا تتورط في الموضوع ومن المناسب أن تذكر باحتقار مترفع أن ما يهم هو المحتوى الفلسفي، لا مصدره.

افلاطون

(٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) كان يعتقد أن الأشياء العادية اليومية كالطاولات والمقاعد ليست إلا نسخاً «ظاهراتيه» عن الأصول الكاملة الموجودة في السماء لكي يقدرها الفكر، وهي ما يدعى بالاشكال، كما توجد أشكال للأشياء المجردة كالصدق والجمال والطيبة والحب وتجاوزات السحب من البنوك، إلى غير ذلك، مما أوقع افلاطون في بعض الصعوبات، لأنه إذا كان كل شيء نراه أو نحسه، إلى غير ذلك، له وجوده بمقتضى شكل كامل جيد، فلا بد وان توجد اشكال جيدة تماماً لأشياء شنيعة تماماً، وقد ذكر افلاطون نفسه الشعر والوحل والقذارة، على أننا نستطيع أن نفكر بأمثلة أفضل كالكلاب التي تهز رؤوسها وتذكارات الرحلات السياحية المجملة لاسبانيا.

يبدو أن افلاطون مقدر أكثر بكثير من قدره كفيلسوف، وفيما يلي مجادلة نمطية من الجزء الثاني من كتاب «الجمهورية» إن كنت لا تصدق ما نقول:

١ـ إن كل شيء يميز بين الأشياء على أساس المعرفة (وليس حسبما يبدو على أساس مجرد رأي سبقي) فهو فيلسوف.

٢ـ إن كلاب الحراسة تميز بين الأشياء (في هذه الحالة الزوار) فيما إذا كانت تعرفهم أم لا (وهي حقيقة يعرفها موزع البريد).

لذلك:

٣ـ فإن جميع كلاب الحراسة فلاسفة.

كما أن سطراً مفيداً لمجادلة آراء أفلاطون هو ما يلي:

١ـ إنه كان يدعو لأعطاء النساء مزيداً من الحقوق والأعمال.
٢ـ إنه لم يكن كذلك.

يمكن تدعيم كل من الادعاءين، كما أن كلا منهما قد يستفاد منه (في أوقات مختلفة بالطبع) والدليل على الرأي الأول إنه في الجزء الثالث من كتاب «الجمهورية» يقول إن النساء يجب ألا يميز ضدهن في شؤون التوظيف لمجرد انهن نساء، والدليل على الرأي الثاني أنه يعلق بعد ذلك مباشرة بأنه لما كانت النساء أقل موهبة من الرجال بحكم الطبيعة، فإن هذه التحررية لن تؤدي إلى أي فرق بأي حال.

بعد افلاطون جاء ارسطو (٣٨٢ ـ ٣٢٢ ق.م) من

مقاطعة مقدونيا، وكان تلميذاً لافلاطون لما كان يتوقع أن يخلفه في رئاسة الاكاديميه، ولهذا تضايق إلى حد ما عندما حصل سبوسيبوس (لا حاجة لأن تعرف عنه شيئاً) على المركز فقام في فورة غضب بتأسيس مدرسته الخاصة ـ الليسيوم، نرجو ألا تخلط بيها وبين قاعة الرقص التي تحمل هذا الاسم في لندن.

كان ارسطو ذكياً جداً بشكل يدعو إلى الاشمئزاز، فقدم مساهمات لعلم المنطق (بالحقيقة ابتكره) وفلسفة العلم (ابتكرها أيضاً) والتصنيف البيولوجي للحيوانات والنباتات (أجل، لقد ابتكره كذلك) وعلم الأخلاق والفلسفة السياسية وعلم دلالات الألفاظ وتطورها وعلم الجمال ونطرية البلاغة وعلم الكون وعلم الأحوال الجوية وعلم الديناميكا وعلم السوائل الراكدة ونظرية الرياضيات والاقتصاد المنزلي، وقلما ينصح الإنسان بأن يقول شيئاً في ذمه، ولكن المرء قد يأسف لانحيازه إلى الاعتقاد بأن كل شيء في البيولوجيا مقصود به تحقيق غاية محدده.

أصبحت الفلسفة بعد ارسطو متناقضة مع بعضها البعض بشكل متزايد فانشئت عدة مدارس متنافسة لتكميل ومحاججه الاكاديميه والليسيوم، والقادمون الجدد

الرئيسيون في بداية القرن الثالث قبل الميلاد كانوا الرواقيين والابيقوريين والمتشككين.

كان الـرواقيون يؤمنـون بعناد بالقضاء والقدر بصورة شاملة رغم جميع الـدلائـل على عكس ذلـك كحـدوث الكوارث الطبيعية وانتشار الظلم ووجود البواصير، وقد جادل كريسيبوس الذي كان أكثرهم تطويلاً في الكلام وربما كان أبرزهم، بأن الخالق خلق البق لمنع الناس من إطالة النوم، كما أن الرواقيين أحدثوا تطورات هامة في النظرية المنطقية ممـا مكنهم من استنبـاط اشكال من المجادلة لم يدركها ارسطو، لكنك يجب ألا تقلق أكثر من اللازم في هذا الشأن.

أما الابيقوريون، الذين سموا باسم مؤسس حركتهم ابيقوروس (٣٤٢ ـ ٢٧٠ ق.م) فكانوا يؤمنون بأن السرور هو الغاية، وأنه يتكون من إرضاء الرغبات، وهي بداية جيدة لكنهم شوهوها بقولهم إن ذلك لا يعني بأن مقداراً كبيراً من السرور هو شيء حسن، بل إن على المرء أن يحدد عدد رغبـاتـه، بحيث لا يبقى لديه عدد كبير من الرغبات غير المتحققـة، وهـذا يؤدي بالـطبـع إلى حياة مملة (وسوف يستوجب إذا ما نفذ إعادة جذرية لتشكيل حياة الأوهام التي

يعيشها المراهقون العاديون) إنها وجهة نظر منطقية، إن لم تكن مقداراً كبيراً من اللهو، وتتعارض بالطبع، وبشكل جذري، مع الفكرة الفلسفية التي تراها أساساً إتباعاً لما يفوق الوصف ولا يمكن التوصل اليه - اتحادا غامضاً مع الخالق ، وتلبساً لاحساس الكون .

وهكذا:

«بالسرور نعني غياب الألم العقلي والجسمي، إنها ليست قضية حفلات شراب صاخبه أو التمتع بالنساء أو الصبيان أو الأسماك».

(من رسالة إلى منوسيوس)

لا نعرف من أين أتى بفكرة الأسماك ولكننا نؤكد أنها موجودة في النص، والمعلم الآخر الهام في المذهب الابيقوري هو نصهم للنظرية الذرية الذي كان يشبه نص ديمقريطس، غير أنهم للاحتفاظ بالارادة الحرة، قالوا بأن الذرات تنحرف بين الوقت والآخر بشكل لا يمكن التنبؤ به مسببة تصادمات كتلك التي تحدث لراكبي الدراجات النارية في وسط لندن، كما قالوا أنه رغم وجود الالهة إلاّ أنها لم تكن لتهتم أبداً بشؤون البشر لأن لديها أشياء أفضل تعملها.

أمَّا المدرسة الرئيسية الأخرى في تلك الفترة، مدرسة السكاكين، فإنَّها لم تؤمن بشيء كما أن مؤسسها **بيرو** (حوالى ٣٦٠ ـ ٢٧٠ ق.م) لم يكتب أية كتب (ربما لأنه كان يعتقد أن أحداً لن يقرأها إذا كتبها)، رغم أن السكاكين الأخرين وخاصة تيمون الذي كتب كتاباً من الهجاء الساخر، **واينيسيديموس وسكستوس امبريكوسي** فعلوا ذلك وكانت حجتهم الرئيسية إنه لا يوجد تقرير حسي موثوق به، رغم أنه قد يكون مدعاة للسرور، وبهذا فلا أحد يستطيع أن يتأكد من أي شيء، والحقيقة أن الإنسان لا يستطيع أن يتأكد من أنه لا يستطيع أن يتأكد من أي شيء، ولدعم هذا الرأي أوردوا صيغاً من «الحجة من الوهم» التي استخدمها ديكارت فيما بعد.

يقال إن تشكك بيرو بلغ حداً جعل أصدقاءه يقومون في مرات متكرره بإيقافه عن السير عند حافات الصخور المرتفعة، وتحت العربات المارة وفي الأنهار مما يبدو أنه كان عملاً يستغرق دواماً كاملاً، وقد نجحوا في ذلك إذ أنه عاش طويلاً، ويقال أنه زار «الفلاسفة العراة» في الهند، الذين عرفوا بهذا الاسم لأنهم كانوا يعقدون ندوات وهم عراة، وقد سجل بأنه تضايق مرة من كثرة الاسئلة التي وجهها إليه الجمهور فنزع ملابسه (ربما كان ذلك هو التأثير

الوحيد للفلاسفة الهنود عليه) وقفز في نهر الفيوس الغرار وسبح بقوة مبتعداً عنهم.

كما وجدت بعض المدارس الأخرى الأقل أهمية وأهمها مدرسة الكلبيين الذين كانوا سادة الملاحظات الدسية (المقصود منها إثارة الشك تدريجياً) وكان أحدهم كريتس الذي عرف بلقب «محطم البوابات» بسبب عادته في الاندفاع داخل بيوت الناس واهانتهم، أما اشهرهم فهو ديوجينيس الذي عاش في برميل لتفادي دفع الضرائب، وقام مرة، وبطيش، بطرد الاسكندر الكبير من أمامه.

قد يكون من المفيد أن يتظاهر الإنسان بميل للكلبيين، أنهم لم يبالوا أبداً بما يفكر به الآخرون عنهم وبهذا فإنهم كانوا أمام نماذج للمزاج الفلسفي أو بلهاء أجلاف، وذلك يعتمد على وجهة نظرك، وليس مهماً ما هي، لكن تأكد أن تكون لك وجهة نظر.

تشاغلت الفلسفة بما ليس فيه طائل في العالم اليوناني ـ الروماني، تحت الرعاية التي لا يمكن التنبؤ بها للأباطرة الرومان الذين اختلفت مواقفهم كثيراً تجاه الفلاسفة فمثلاً كان ماركوس اوريليوس نفسه فيلسوفاً بينما قام نيرون بقتلهم، .وقد قاست الفلسفة كثيراً نتيجة لذلك.

اوغسطين الذي اصبح لسبب مستغرب قديساً رغم حياته الماجنة قبل ذلك وصلاته إلى الله أن يجعله عفيفاً «ولكن ليس الآن»، كانت لديه بعض الآراء الممتعة، فقد استبق قول ديكارت « إنني أفكر ، فأنا موجود » واستنبط نظرية تتعلق بالزمن تقول بأن الله يقف خارج سلسلة الأحداث الدنيوية (الأزلية وغير المتغيرة) .

كما وجد «الافلاطونيون الجدد» وكان بعضهم مسيحيين كرسوا اوقاتهم لأظهار أن افلاطون كان مسيحياً بالفعل، وهي فكرة تطلب اعادة تشكيل دنيوي مذهل، إن لم يكن غير قابل للتصديق، وقد مال الافلاطونيون الجدد إلى الحديث عن الأشياء المعنوية بطريقة لا يفهمها أحد، وهي غلطة ليست مقصورة عليهم، فقد فعل ذلك هيداغر، لكنه كان المانياً وعليك أن تتوقع أشياء كهذه من الالمان، وقد تقابل أناساً يعبرون عن اعجابهم بهذه المجموعة، فلا تتردد في استبعادهم فوراً وخاصة **بلوتينوس وبورفيري وبروكلوس** رغم أنك قد تعترف على مضض بأن الأخير كانت لديه بعض الأفكار الممتعة عن الأسباب.

بعد ذلك جاءت العصور المظلمة، لكن شعلة الفلسفة، كما يميل المؤرخون المطنبون إلى القول، ظلت

مشتعلة في العالم العربي، وفي الأديرة التي كانت بعيدة جداً أو فقيرة جداً بحيث لم تستحق النهب، فاتخذت الفلسفة، كما وجدت في أوروبا، اتجاهاً لاهوتياً كئيباً، مركزاً على التنافس فيما إذا كان الله واحداً في ثلاثة أو ثلاثة في واحد، وعلى طبيعة الروح القدس وعدد الملائكة الذين يستطيعون الرقص على رأس عفريت (إذا أرادوا أن يقوموا بذلك، وهذا غير محتمل) كما يجدر بنا أن نشير إلى قرطبة في جنوب اسبانيا التي كانت تحت الحكم العربي موطناً لأعظم فيلسوف يهودي ميمونُ وأعظم فيلسوف عربي ابن رشد، على أن البعض يقولون إن ابن سينا وليس ابن رشد، هو أعظم فيلسوف عربي، ولكن لا توافق (ان التصلب في الرأي مفيد) ولعدة مئات من السنين استطاع اليهود والعرب والمسيحيون أن يتعايشوا هناك، ولمْ يكن التعصب الديني، رغم كونه أزلياً، واقعاً غير قابل للتغيير.

بدأت الفلسفة تنتعش في أوروبا في القرن الحادي عشر عن طريق انسلم، أحد القديسين الفلاسفه، الذي اشتهر بابتكار الاسم المضلل «الحجة الوجودية» لوجود الله التي تلفت النظر بعدم قابليتها للتصديق وطول عمرها وصعوبة تفنيدها، وهي كما يلي: فكر بشيء لا يمكن أن يوجد شيء أعظم منه، لكن الوجود نفسه صفة تجعل

الشيء أفضل (هذا الرأي الذي لا ينطبق على النَفَس الكريه والأطفال الصغار يصبح أكثر اقناعاً إذا كان الكيان الذي نحن بصدده جيداً من جميع نواحيه) ولهذا إذا لم يكن اعظم الأشياء ـ أي الله ـ موجوداً فسيوجد شيء أعظم يمكن تصوره أي إله الوجود، له جميع الصفات نفسها التي للآخر مضافاً إليها هبة الوجود. لكننا نستطيع أن نتخيل ذلك لهذا فإن الله موجود. يقول انسلم أن الله أرسل له هذه الحجة في رؤيا جاءته بعد الفطور بقليل في الثالث عشر من تموز (يوليو) ١٠٨٧ عندما كان يواجه أزمة إيمانية، وبهذا فإنها الحجة الرئيسية الوحيدة في تاريخ الفلسفة التي يمكن تحديد تاريخ اكتشافها بالضبط، ما لم يكن انسلم بالطبع كاذباً.

أما القديس الفيلسوف الهام التالي فكان **القديس توما الاكويني (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤)** الذي كان مسؤولاً إلى حد كبير عن إعادة ادخال ارسطو في التقليد الغربي (لقد أهمله بأدب ولعدة قرون علماء لم يريدوا أن يقروا بأنهم لم يعرفوا اللغة اليونانية) كما أن القديس توما هو الفيلسوف الوحيد الذي تعترف به الكنيسة الكاثوليكية، ومن الجدير بالذكر أنه هو الذي طرح نظرية «خمس طرق لاثبات وجود الله»، إنه لم يتأثر بأنسلم، وليس من الضروري أن تعرف هذه

الطرق، لكن بامكانك أن تحاول الاشارة إلى إنه لا يوجد أي فرق هام بين الطرق الثلاث الأولى، لهذا فإن الاكويني غالى في حسن الظن بنفسه.

أما بقية اساتذة العصور الوسطى، كما يعرفون لولعهم بالتحذلق الغزير، فيبدو أن معظم المهمين منهم كانوا من رهبنة الفرنسيسكان ويجب أن تتفاداهم، على الأقل بأي تفصيل، ويمكنك أن تذكر بأن ونص سكوتاس (١٢٧٠ - ١٣٠٨) كان ايرلنديا، وكان فوق ذلك، وحسب رأي جيرارد هوبكنـز، «انـدر محلل»، ولسنـا متأكدين من معنى هذه العبارة، كما أن اسما آخر يستحق الاسقاط هو اسم وليم اوكهام (حوالي ١٢٩٠ - ١٣٤٩) والذي اشتهر بأنه مخترع «شفـرة اوكهـام للحـلاقة» التي وضع بها حداً لقرون من الفلسفة المكسوّة بالشعر.

«إن الكيانات يجب الا تتضاعف أكثر من اللازم» أي : «لا تبعثر الأشياء إذا لم يكن من الضروري أن تفعل ذلك»، أو «دع عنك الكلام الفارغ».

أمـا العصر الحـديث للفلسفة فيبدأ فعلياً في عصر النهضة باكتشاف التشكك اليوناني الذي نقله لورانزو فللا وطـبـقــه ميشيل دي مونتين، وبعــدهمــا شكلت نظرية

التشككيه الأساس الذي بنى عليه ديكارت فلسفة ايجابية.

كان رينيه ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) كما يعرف كل طالب فلسفة في السنة الجامعية الأولى، أبا الفلسفة العصرية، وكان من عدة نواحٍ شخصية جذابة: فقد كان يجد صعوبة كبرى في النهوض من النوم في الصباح، كما أنه استنبط جملة: «إنني افكر، فأنا موجود» وهو مختبىء في مدفأة عام ١٦٢٠ لتجنب الخدمة العسكرية، لم يتزوج أبداً لكنه رزق بابنة غير شرعية، وننصح بحفظ شعاره بثلاث لغات على الأقل ـ وقد توصل ديكارت إليه بعد أن قام بتجارب منظمه على أشياء بسيطه كالبرتقال والجبنة والأرقام الحقيقية.

اكتشف أن بإمكانه أن يرتاب بوجود كل شيء باستثناء واقعية افكاره (حتّى أنه ارتاب قليلاً بشأن جسمه، ولسبب معقول إذا اعتمدنا على صوره) ومن هذا التأكيد الذي لا يهتز تقدم لبناء جسر غيبي (يجدر بك استعمال هذا التعبير إذ يبدو جيداً) عائداً إلى الواقعية العادية عن طريق دليل على وجود الله (لا يهمنا كيف توصل إلى ذلك، بل يكفي أن نعرف بأنه قام بذلك فعلاً) وهكذا في النهاية، ترك الأشياء، وإلى حد كبير، كما وجدها، لكن الفلسفة هي كذلك.

بعد ذلك بدأت الفلسفة في إظهار الدلائل على الانقسام إلى تقليدين: بريطاني وقاري، وهذه الملاحظة تغيظ الفرنسيين والألمان، الذين يودون، لسبب معقول أن يفكروا بتقاليدهم الفردية بأنها منفصلة، لهذا من المستحسن أن تذكر ذلك عندما تتحدث إليهم.

يميل البريطانيون إلى أن يشكلوا مجموعة تعتمد على التجربة والمعاينة مما يعني ـ حسب التسمية ـ أنهم بنوا اساليبهم على أساس ما يمكن إحساسه وملاحظته وتجربته، والأشخاص المهمون يبدون كنكته عريقة فقد كان أحدهم بريطانياً (لوك) وآخر ايرلندياً (بيركلي) وثالث اسكتلندياً (هيوم) ومن المفارقات أن نجد، رغم رتابة أولئك الفلاسفة، أن بيركلي (الإيرلندي) كان ماهراً جداً وهيوم (الاسكتلندي) كريماً جداً.

فلنبدأ **بجون لوك** (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) الذي كان يعتقد أن للأشياء نوعين من الصفات المميزة:

١ـ صفات أولية كالاتساع والصموت والعدد، التي تعتبر غير قابلة للانفصال، وملازمة للأشياء نفسها.

٢ـ صفات ثانوية كاللون والطعم والرائحة التي تبدو كأنها في الأشياء نفسها، لكنها فعلاً في المتلقي (إن كل من يمر

بحقل سمد حديثاً بروث الخيول يميل إلى التشكك في ذلك).

ليس أحد متأكداً مما يفعل بصفات كالقبح المتناهي الذي يبدو موضوعياً وواسع الأنتشار، ولكن من المحتمل أن يعتقد أن القبح، كالجمال، في عين الرائي، مما يعني أن هناك أملاً لكل منا.

كما كان لوك يعتقد أنه لا توجد لنا أفكار فطرية، (وهكذا فإن عقل الرضيع صحيفة بيضاء ـ كما تبدو عقول بعض البالغين حقاً) وأن جميع معلوماتنا عن العالم الخارجي مستقاة إما مباشرة من التجربة أو بشكل غير مباشر بالاستنتاج منها، وقد سبب له هذا الرأي بعض المشاكل في تفسير المفاهيم التجريدية كالعدد واللانهاية والوجبات السريعة الصالحة للأكل، كما كانت له آراء ممتعة عن قضية الهوية الشخصية: كيف أميز نفسي عن العقول الأخرى؟ ما هو محتوى استمرارية شخصيتي؟ هل أنا نفس الشخص الذي تزوج زوجتي قبل خمسة أعوام؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل يوجد شيء يمكن أن أفعله تجاه هذا الوضع؟ إلى غير ذلك، قائلاً إن النّاس ليسوا جميعهم اشخاصاً لأن كون الإنسان شخصاً يتطلب مستوى معيناً من

الإحساس الذكي بالذات، وليس جميع الأشخاص أناساً، وكـان سبب إعتقـاده هذا تصـديقه قول مسافر من جنوب أمريكا بأنه قابل في ريو دي جانيرو ببغاء تتحدث الاسبانية.

أما جورج بيركلي (١٦٨٥ ـ ١٧٥٣) ورغم كونه اسقفا وايرلنـدياً، فقد كان أكثر تطرفاً، وكان يقول ان الأشياء لا توجـد إلا إذا أدركنـاهـا، وكـان سبب هذا الاعتقـاد غير الاعتيادي الـذي كان يعتبـره حسن تصرف، هو استحالة التفكير بشيء غير مدرك، لأنك وأنت تحاول أن تفكر به كشيء غير مدرك، فإنك بتفكيرك به، تدركه.

راجت فلسفـة بيركلي كثيراً، وكـان لهـا فضـل إثارة الدكتور جونسون الذي ادعى أنه فندها برفسة حجر، وهي طريقة غير فلسفية للتفنيد، لم تصب فكرة بيركلي، ومن لهم آراء كهـذه يدعون مثاليين (انظر المسرد)، وكمعظم الأشياء في الفلسفة يوجدون بأشكال جنونيه إلى حدٍ ما، وقد علق جي/ثي/ مور مرة بأن المثاليين لا يعتقدون أن للقطارات عجلات إلا عندما تكون في المحطة، إذ انهم لا يرونهـا عنـدما يكونون في القطارات، كما يتبع ذلك، ويشكـل ممتـع، بأن الأشخاص لا تكون لهم أجسام إلا عنـدمـا يكونون عراة، وإذا كانت هذه المقولة صحيحة،

فإنها تجعل الكثير من التأملات العادية عديمة المعنى.

تلا تلك الآراء نوع من التشكك، وهنا يأتي دورهيوم (١٧١١ - ١٧٧٦) الذي نشر كتابه الأول «اطروحة عن الطبيعة البشرية» عام ١٧٣٩ وغضب عندما لم يهتم أحد بكتابه، على أن ذلك لم يعقه إذ أعاد كتابة الكتاب ونشره بعنوان آخر «بحث في الفهم الإنساني»، فعمد الناس فوراً إلى الاهتمام به. والرأي السائد هو أن الصيغة الثانية ادنى درجة من الأولى بكثير، وتستطيع أن تحاول مخالفة هذا الرأي (يتميز البحث بأنه أقصر جداً) ومن الأشياء التي يجدر بك أن تعرفها عن هيوم أنه استنبط تعليلاً أصلياً للأسباب يكون بموجبه السبب والنتيجة الاسمين اللذين يطلقان على الأحداث أو الأشياء التي تلاحظ المرة تلو المرة بأنها تسير معاً: الاقتران الدائمي، حاول أن تذكر أن صيغ هيوم الثلاث لهذا المبدأ ليست متساوية: فإحداها تجعل الأسباب شروطاً ضرورية لنتائجها، والثانية تجعلها شروطاً كافية، والثالثة تبدو غامضة، ويمكنك أن تشير إلى أن هذا المبدأ لا يمكنه التمييز بين الأسباب ونتائجها، كما اعتقد هيوم أن الإرادة الحرة والجبرية يمكن أن تتلاءما، على أن من المناسب أن تبدي بأدب ارتيابك بذلك.

وفي هذه الأثناء لنعد إلى القارة، ويجب أن نأخذ بعين

الاعتبـار اشخاصاً مثل سبينوزا (١٦٣٤ ـ ١٦٧٧)، وكان صانع عدسات من امستردام. لقد نال اعجاباً كبيراً (لكن على ما يبدو، لم ينل اعجاب معاصريه، الذي كانوا يلعنونه علناً، ثم عندما لم ينفع ذلك حاولوا العمل على اغتياله) لنظامه الأخلاقي، الذي وضعه كمجموعة من الاستنتاجات الـرسمية في الهندسة المستويه، وليس غريباً، مفترضين اسلوبه، أن نرى أنه كان مؤمناً إيماناً قوياً بمذهب الجبرية، معتقداً بضرورة منطقيه راسخة.

إن أفضـل موقف نتخـذه تجـاه سبينوزا هو أن نوازن الإعجـاب بالـرجـل بإحسـاس خفيف بخيبة الامل، لأنه استخـدم اسلوبـاً غير ملائم لمـوضـوع الأخلاق، إذ اننا نستـطيع القـول بحكمة أن الأخلاق ليست قابلة للإظهار بأسلوب رسمي مليء بالبديهيات.

يعــرف لايبنـز (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) شعبياً بأنـه يمثـل شخصية بانغلوس الكـاريكاتيريه في رواية «كانديد» التي ألفها فولتير، وبانغلوس هو الشخص الثقيل المتفائل الذي كان يعتقـد أن كل شيء يمثل الأفضل في أفضل العوالم الممكنة،، وهذا هراء واضح، على أن لايبنز لم يكتب أشياء كهذه إلا ليرضي الملوك، الذين كانوا مرتاحين للأوضاع،

كما أنه كتب كثيراً عن الأمور المنطقية والغيبية، لكن تلك التأملات لم تنشر في حياته لأنها لم تكن مريحه للملوك، وإذا حدث وأن ذكر اسمه، فكر بأسى بالفرق بين جودة أفكاره الخاصة وجدب تصريحاته العامة.

لا يتسع المجال لأن نذكر الكثير عن الفلاسفة الفرنسيين في القرن الثامن عشر، والذين كان اشهرهم **فولتير وروسو وديديرو**، ومما يلفت النظر أن كلا منهم تعرض للاعتقال أو النفي أو للعقوبتين معاً، ومن المتعارف عليه مدح ديديرو لأصالته وفهمه وإنسانيته ونثره الفجوري البديع، ويستحق الاهتمام لأنه لم يترجم إلى الانكليزية أيَ شيء كتبه باستثناء «الراهبة»، ويجب ألا ننسى بأنه كان يكتب كتابات إباحية ليحصل على رزقه.

إن الماركيز دو ساد مثل جيد على ارستقراطي منحرف بشكل متطرف بفلسفته الجنونيه، وربما كان شعاره «إذا بدا الأمر جيداً، افعله» ـ لقد بدا له الأمر جيداً ففعله، وسجن، كما يمكنك أن تذكر كتابه «فلسفة في غرفة الاستراحة» الذي ضم اراءه التي مزجت بين السياسية والاخلاقية والاجتماعية والبيولوجية وبين الجنس واستمداد اللذة من تعذيب النفس.

وهذا يوصلنا إلى الفلاسفة الألمان في القرن التاسع عشر، ونصيحتنا أن نبتعد عنهم، فكل ما تحتاج أن تعرفه عن رائدهم كَانْتْ موجود في قسم آخر من هذا الكتاب (انظر قسم الأخلاق) وكل ما يعرفه أي إنسان عن هيغيل يمكن أن يكتب على ظهر بطاقة بريدية، وحتى عند ذلك سيكون غير مفهوم، وكان هيغيل يمتلك بشكل متقدم تلك الموهبة الشائعة بين المحامين والمتحمسين للكمبيوتر والفلاسفة الألمان، أي جعل الشيء البسيط أساساً، معقداً بشكل خيالي، لقد استعمل هيغيل كلمة «الجدلية» لأول مرة لتعني تفاعل القوى التاريخية المتعارضة، وهكذا فإنه مهم في تاريخ ما قبل الماركسية، وعدا عن ذلك فإن مصطلحات الفلسفة الألمانية يمكن أن تكون مؤثراً في النفس إذا استعملت استعمالا صحيحاً (انظر المسرد)، والكثير مما ذكر اعلاه يصدق عن شوبنهاور.

أما نيتشه (١٨٤٤) - ١٩٠٠) فكان غريب الأطوار وبهذا يمكن اعتباره مثالياً لتعليقات حفلات الكوكتيل، والرأي المعاصر يضمه إلى فاجنر كفاشي اصلي - من المؤكد أنه كان لا سامياً، لكن كل شخص آخر تقريباً في القرن التاسع عشر في بروسيا كان كذلك. كان يعتقد أن الله كان ميتاً أو على الأقل في إجازة، كما كان يكره النساء

كراهية متعصبه، رغم أن من المشكوك فيه أن يكون قد قابل المرأة بالفعل، كما نادى بعقيدة «التواتر الأزلي» التي تقول بأن كل شيء يحدث المرة تلو المرة بنفس الطريقة تماماً، وزعم بأنه يجد هذا الرأي مريحاً، لكنه يلزمنا بديمومة إملال متكرر أو بحيث لا يحتوي أي منها على ذكريات عن أية حالة أخرى، فلا فرق في ذلك، ومن المؤكد أن نيتشه أصيب بالجنون عام ١٨٨٨ (يقول البعض أنه جن قبل ذلك بكثير) ويدأ يكتب كتباً بعناوين مثل «لماذا أنا ماهر جداً» و «لماذا أكتب كتباً رائعة جداً».

من غير الألمان في القرن التاسع عشر يجب أن نذكر كيركيغارد ـ لتبين أنك تعرف كيف تلفظ اسمه: كيركرغور.

كان هنري بيرغسون اشهر فيلسوف فرنسي في تلك الفترة، وكان يؤمن بمبدأ سر الحياة (مذهب الفاعلية الحيوية) القائل بأن ما يميز الكائنات الحية عن الأشياء غير الحية قوة غامضة غير محددة تقوم لسبب ما بمغادرة الجسم البشري أثناء المراهقة، كما أن من الجدير بالذكر أنه كتب كتاباً طويلاً عن الضحك لم يحتوِ على نكته جيدة واحدة.

والآن نأتي إلى الامريكيين:

كانت مساهمة الامريكيين المميزة للفلسفة في هذا الوقت هي مبدأ الذرائعيه (الحكم على الأشياء بنتائجها العملية) والذي ليس كما هو الحال في السياسة، اسماً آخر لرفض غير منصف، ويتصف بخدمة الذات، لأي مبدأ، بل الاعتقاد بأن كلا من الصدق والكذب ليس مطلقاً، بل مجرد عُرف وبهذا فمن المحتمل أن تكون له علاقة بالسياسة، وكان كُل من وليم جيمس وجون ديوي يقول بهذا الرأي، وإذا استعملت هذين الاسمين، لا تنسَ أن وليم جيمس كان أخا الروائي هنري جيمس.

والآن نصل إلى نهاية القسم التاريخي من هذا البحث، وسنتكلم عن فلاسفة القرن العشرين فيما بعد (ويحرص أكثر، إذ ان العديدين منهم ما زالوا أحياء، ويستطيعون رفع قضايا تشهير).

وفيات الفلاسفة:

ذكرنا ما يكفي عن حياة الفلاسفة، وحسب الابيقوريين فإن الموت لا يعنينا، ولكن رغم رأيهم فإننا نذكر القائمة التالية عن وفيات الفلاسفة الغربيين، لإيفاء الموضوع حقه:

امبدوكليس يوجد قولان مأثوران عن وفاته: أحدهما

أنه مات بسبب كسر ساقه والثاني أنه قفز داخل فوهة بركان أثنا ليثبت أنه إله ـ علي ان التاريخ لم يسجل كيف كان ذلك الحادث سيشكل إثباتاً لادعائه .

على أن هيراكليتوس أصيب بداء الاستسقاء نتيجة لعيشه على أكل الأعشاب والنباتات على سفح جبل في نوبة بغض للجنس البشري، وعندما أخبره أطباؤه أن حالته مستعصية على الشفاء، طلب بأن يغطى بالسماد من رأسه إلى قدميه ويترك في الخارج (ربما لم يرد أحد أن يبقيه في الداخل) وحسب قول المؤرخ ديوجينيس لاريتوس «لم يستطع إزالة السماد، ولما لم يُعرف بهذه الحالة، التهمته الكلاب» ـ ربما لم تكن لتفعل ذلك ـ لو علمت من هو.

لا تذكر موت سقراط بالشوكران في سجن اثينى، إذ أن الجميع يعرفون ذلك، ولكن إذا شاء سوء حظك بأن يذكره أحد لك، حاول الإشارة إلى أن وصف موته في كتاب افلاطون المعنون «فايدو» لا يتفق اطلاقاً مع النتائج المعروفة للشوكران ـ لهذا فإن شخصا ما كان يكذب.

أما فيثاغوروس فكان ضحية تطرفه في اتباع المذهب النباتي، إذ عندما لاحقه عدد من زبائنه المستاءين، وصل إلى حقل مزروع بالفاصوليا، وبدلاً من أن يدوس عليها،

ظل حيث هو، فقتل.

كرينيس الـرواقي (من اتبـاع المدرسة الرواقية التي اشتهرت برباطة جأشها وعدم مبالاتها بالمخاوف الدنيويه) مات خوفاً من صرير فأر ـ ولم تتمكن الفلسفة الرواقيه من تجاوز هذه الواقعة.

كريسيبـوس الـرواقي: من ناحية أخـرى مات وهـو يضحك على نكاته الفظيعة ـ تقول القصة إن حمار امرأة عجوز أكل كمية كبيرة من تينه وعندها عرض على العجوز زق خمره قائلاً: «من الأفضل أن تعطيه شربة من الخمر ليخرج التين معها»، ثم بدأ يضحك، ومات، وبخفة روح كهذه يغفر للمرء إذا اعتقد بأن من الخير إن ضاعت جميع كتب كريسيبوس السبعمئة.

يفترض أن ديوجينيس مات بإحدى الطرق الثلاث التالية:

١ـ بعدم إزعاج نفسه بالتنفس.
٢ـ نتيجة لعسر هضم شديد بعد أن أكل اخطبوطاً حياً.
٣ـ نتيجة لعضة في قدمه وهو يقسّم اخطبوطاً حياً بين كلابه.

بعـد الفتـرة القـديمـة هبـطت كثيراً نوعية وفيات

الفلاسفة، على أن من المناسب أن نسجل أن **اكويناس** مات على المرحاض، كما مات **ابيكوروس** قبله، وأن **فرانسيس بيكن** مات نتيجة لنزلة صدرية أصيب بها وهو يحاول تجميد صوص في ثلوج حرش هامبستد (شمال لندن)، وبهذا ربما كان الوحيد الذي مات وهو يجري ابحاثاً على الوجبات السريعة، بدلاً من أن يموت نتيجة لأكلها.

وأخيراً كان من سوء حظ رينيه ديكارت أنه مات نتيجة لنهوضه مبكراً جداً في الصباح، فعندما غرر به للالتحاق ببلاط الملكة كريستينا ملكة السويد، اكتشف مذعوراً أنها تريده أن يعطيها دروساً خصوصية يومية، وأن الوقت الوحيد المناسب لها هو الخامسة صباحاً، فقتله الإجهاد.

قضايا الفلسفة الأساسية

إن تقديرك المبكر للفلسفة يجب أن يشمل علم الوجود (الكائنات) أي دراسة ما هو موجود، ونظرية المعرفه، وهي دراسه كيفية علمنا بها، ويمكن استعمال هذين المصطلحين بعدة طرق، وننصح المبتدىء بأن يلتزم ببضع قواعد أساسية لتجنب الوقوع في المشاكل. أما الأكثر تقدماً فيمكنه أن يقرر لنفسه.

كثيراً ما ترتبط نظرية المعرفة بأسماء فلاسفة أفراد كما في «نـظرية افلاطون للمعرفة» أو «نظرية كانت للمعرفة» رغم أن الإنسـان يجب أن يكون حريصاً جداً بشأن إلزام نفسه فيما يتعلق «بكانت» أو بأي فيلسوف الماني آخر.

غير أن علم الكـائنات قلما ينسب للأفراد، لهذا لا تغامر في هذا الشأن ما لم تتأكد أن الشخص الذي تتحدث إليه أكثر جهلاً منك، وعادة يكون هذا افتراضاً مأموناً في الفلسفـة لكن كن حذراً، إذ ربما تقع أخطاء، وقد تكون مكلفـة ، على أن علوم الكائنات قد تكون غنية إلى حد ما، ويعبارة بسيطة: كلما كان علم الكائنات أكثر ثروة، كلما افترض وجود أشياء أكثر.

لاحظ كواين (ويلارد فان اورمان كواين: اشر إليه باسم كواين، أو إذا كنت متأكداً جداً من نفسك باسم فان كواين) مرة إن جميع الاسئلة الهـامـة في الفلسفة يسألها بانتظام الاطفال الذين اعمارهم اربعة أعوام، وهي:

١ـ ما هو الموجود؟ (علم الكائنات).
٢ـ كيف تعرف؟ (نظرية المعرفة).
٣ـ لماذا يجب علي؟ (التي يجب تفسيرها كسؤال في الأخلاق).

لا يستـطيع الأطفـال حقيقـة أن يصلوا إلى علم الغيبيات، ومن المحتمل أن يكون ذلك أمراً حسنا، ولكن أكثـر اسئلة الاحـداث شيوعـاً وازعـاجاً هو «لماذا؟» وهو السؤال الأساسي في الفلسفة.

المستويات وما وراء المستويات

إن عبارة «ما وراء» وجدت عندما ابتكر ارسطو علم «ما وراء الطبيعة»، يظن البعض أحياناً أنها تحتوي على حقائق أكثر عمقاً وسرية وأساسية من علم الطبيعة وهذا خطأ تماماً والحقيقة أنها في النص الأول المتعارف عليه لكتاب ارسطو (أخرجه اندروينكوس من جزيرة رودس) وردت في الأجزاء التي اتت مباشـرة بعـد الاجـزاء التي احتـوت على علم الـطبيعـة، ونتيجة لذلك الحدث التاريخي بالاضافة إلى حقيقة أن لا أحد استطاع أن يأتي باسم بديل لذلك الخليط من المنـطق واللاهوت ونظرية المعرفة والرياضيات الذي يشكل «ما وارء طبيعة» أرسطو، فقد اصبحت العبارة تشير إلى أية دراسة اعمق مستوى من الدراسة التي تسبقها العبارة.

وهكذا إذا كان الإنسان يدرس «ما وراء الرياضيات» ونصيحتنا له ألا يفعل ذلك، فإنه لا يدرس نظريات وبراهين

الرياضيات نفسها، بل أساس قبولها والبنية الرسمية التي تمثلها، وعبارة «ما وراء الأخلاق» كذلك ليست دراسة ما يجب أن نعمله ولكن طبيعة النظريات التي تخبرنا ما يجب أن نعمل.

لهـذا يتضـح أن عبـارة «مـا وراء» إذا ما استخدمت استخداماً صحيحاً، لها قوة كاسحة في المحادثة.

أما عبارة «ما وراء اللغة» فهي لغة تبحث فيها بنية لغة أخرى تعرف بلغة الهدف، يمكنك أن تحاول التعليق بأن لغة الهدف كثيراً ما تكون مشمولة بما وراء اللغة، لكن ليس العكس بالعكس، لا تهتم بمعنى هذا، لذلك فإن العبارة الأخيرة التي بحثنا فيها ما وراء اللغة كانت في الواقع مثلاً على ما وراء ـ ما وراء اللغـة، وتلك الجملة الأخيرة... حسنـاً، لقـد فهمت الفكـرة العـامـة، وبهذا توجد فرصة «الانتكـاس غير المحدود» وهو المعادل الفلسفي لضرب رأسك بجدار من طوب، كما أن الفريد تارسكي وهو عالم منطق في سنوات ما بين الحربين، عنما بدا أن جميع علماء المنطق بولنديون (لكن العكس ليس صحيحاً بالطبع) اعتبر فعلاً أننا بافتراضنا تسلسلا نظرياً لا حد له للغات نستطيع تماماً أن نحلل منطقياً (كلمة جيدة) فكرة الصدق كما تعمل فى اللغة الاعتيادية، وأسباب ذلك معقدة وصعبة للغاية ولا

يمكن التمكّن منها إلا بعد سنوات من الدراسة، لهذا قل ذلك.

كما أن من السهل اعتبار الفيلسوف الامريكي رونالد ديفيدسون مرتبطاً بتارسكي، رغم أن من الصعب (يقول البعض إن من المستحيل) فهمه، وقد بدأ ديفيدسون كعالم نفسي نظري لكنه وجد الموضوع سهلاً جداً فأصبح فيلسوفاً بدلاً من ذلك؛ تبنى برنامج تارسكي ووسّعه محاولاً تزويد الفلسفة واللغات الطبيعية بنظرية معنى، ويمكنك أن تتساءل بأدب فيما إذا كان توسيع ديفيدسون لعلم دلالات الألفاظ وتطورها كما يراه تارسكي قابلاً للتطبيق بالفعل، لكن لا تنجر للموضوع بأي حال من الأحوال.

بتمرين قليل يمكنك بسهولة أن توجد «ما وراء» نظامك، وليس نظامك فقط: كان جي/ثي/ال/اوين يشير إلى «ما وراء» مفكرته، وهي الورقة التي كان يكتب عليها اين ترك مفكرته، على أن مما لا شك فيه أن أهم مباحث «ما وراء» هو «ما وراء الطبيعة».

ما وراء الطبيعة

إن «علم ما وراء الطبيعة» يختص بما هو موجود فعلاً، وليس بما هو موجود فقط، والذي هو بالطبع موضوع علم

الوجود (الكائنات)، وما يميل الناس في لحظات عدم الحذر إلى الإشارة إليه بعبارة البنية الأساسية للعالم، وبهذا فإنه يبدو كفيزياء الذرة المعاصرة، رغم أنه أقل سخفاً، كما يوجد شعور بأن علم ما وراء الطبيعة التقليدي قد تجاوزه العلم الحديث. إن علم ما وراء الطبيعة صعب، وإذا كان الفلاسفة الواقعيون على حق، فإنه مستحيل، والحقيقة أن من الشائع بصورة متزايدة أن يصل الطالب الجامعي إلى نهاية مساق السنوات الثلاث دون أن تكون لديه أية فكرة عنه، أما أنت فليس ضرورياً أن تكون لديك إلا أكثر النقاط غموضاً عنه ـ لكن من المهم أن توجد لديك أفكار قوية في هذا الخصوص.

أما قضايا وجود الله، وطبيعة المادة، وتكوين الاتصالات السببية، ووجود السكك الحديدية البريطانية أيام الآحاد، فيمكن أن يقال عنها جمعها بأنها من قضايا ما وراء الطبيعة بشكل واسع، أي أنها من بين أشياء أخرى لا تعطي أجوبه واضحة، وهذا هو ما يأخذه عليها الواقعيون المنطقيون وهم مجموعة فلاسفة فيتناميين، ذوي أسماء سخيفة، عاشوا أثناء الحرب.

عند التكلم عن علم وراء الطبيعة أو «أكثر أمنا» عند ذكره من الأفضل أن تتخذ إحدى طريقتين: أن ترفض وجود

أي موضوع كهذا على الاطلاق (من الأفضل أن تفعل ذلك بابتسامة متفضلة) أو أن تحاول استثمار ملاحظاتك عن القضية وكأنك تخترق لغزاً يفوق الوصف، والفيلسوف وتنغنشتاين (سيأتي ذكره فيما بعد) في مرحلته الأولى مثالي في الحالة الأولى بينما يعتبر في مرحلته التالية مثالياً للحالة الثانية، والاسم ممتاز لأن كل إنسان تقريباً قد سمع به بينما لم يقرأه فعلاً أي إنسان تقريباً كما أن عدداً أقل من الناس يمكنهم الادعاء بقناعة بأنهم فهموه. بالنسبة لليقينيين تأتي أفضل مادة من مبدأهم الخاص بامكانية التحقق، والقائل بأننا لا نستطيع أن نعرف معنى جملة إلا إذا عرفنا ما الذي تتطلبه تلك الجملة لتكون صحيحة، وإذا لم توجد طريقة للتحقق من ذلك، من حيث المبدأ على الأقل، فإن الجملة تكون عديمة المعنى، وهذه الطريقة لها تأثير قوي، وليس غير سار، بأن تجعل جميع علم ما وراء الطبيعة التقليدي والكثير مما يقوله رجال الاقتصاد ورجال كنيسة انكلترا، دون معنى.

علم الأخلاق

من أكبر مباهج حياة الفيلسوف استطاعته أن يخبر كل شخص (وليس الاطفال والكلاب فقط) ما يجب أن يعمل،

وهذا هو علم الاخلاق، وبوجه عام يوجد أساساً نوعان من نظرية علم الأخلاق، فأما أن تكون:

قائلاً بالمذهب النفعي، أو

قائلاً بنظرية الواجب والالتزامات الاخلاقية.

يقول النفعيون إن الصفة الاخلاقية للأعمال لا تقررها إلا نتائجها، ومن ناحية أخرى يقول أتباع نظرية الواجب والالتزامات الأخلاقية بوجود أشياء يجب أن نعملها وأشياء يجب أن نمتنع عن عملها بغض النظر عن نتائجها الفعلية أو المحتملة، وقد وضع بنتهام وميل هذه النظرية في القرن الماضي، وما زالت حية.

تقول الصيغة الكلاسيكية للأخلاق النفعية إن على الإنسان أن يتصرف بحيث ينتج أكبر قدر من الخير لأكبر عدد من الناس، ومن المشاكل الأولية المرتبطة بتفسير المذهب ما يلي: كيفية تعريف الخير، ومن يعرّفه، والطريقة التي يجب اتباعها في حالة عدم تلاؤم وجوه الخير، وفيما إذا كان العدد الكلي للناس المعينين مهما أم لا، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف؟

والمشكلة الرئيسية بالنسبة لمذهب النفعية، أو أي نوع

منه (أنه يأتي بعدة نكهات) هي أنه يؤدي أحياناً إلى نتائج معاكسة للبديهة، جرب ما يلي مع شخص يدعي أنه من أتباع هذا المذهب: لنفرض أن لديك ثلاثة أشخاص يقاسي كل منهم من انهيار نهائي لأحد اعضائه الحيويه، بينما إنك، من ناحية أخرى، صحيح الجسم تماماً، كمؤمن بهذا المبدأ عليك أن توافق على أن تنقل للمستشفى وتجري لك عمليات لنقل اعضائك الصحيحة لاجسام اصدقائك المرضى، مما يؤدي إلى ربح صاف مقداره شخصان، إن المخالفين لهذا المبدأ يشعرون، وبشكل معقول، بأنك لن تكون سعيداً بالعمل بتلك الفكرة.

إن ميزة مبدأ النفعية هي أنه، على الأقل بفكرته الأساسية، واضح المعالم إلى حد ما، رغم أن البعض قد اعترضوا قائلين بأنك ستقضي كل وقتك محاولاً أن تحسب النتيجة الدقيقة لأي عمل، وبهذا لا تعمل شيئاً على الاطلاق، وبوجه عام ليس من الافكار الجيدة أن تدعي أن هذه هي فائدة النظرية.

أما القائلون بنظرية الواجب والالتزامات الأدبية فأكثر ازعاجاً بكثير، وتتكون الصعوبة الواضحة من تحديد

الواجبات والحقوق الملازمة لها فعلاً، ولا يوجد إلا اتفاق قليل في الرأي بهذا الشأن، مما يؤدي إلى نقاش القائلين بالذا تانيه/ الموضوعانيه: هل الأخلاق مكتشفه كما يقول المـوضـوعـانيون بمقدرة شخصية خاصة أو هل هي أمور ملاءمة توجد بطريقة اعتباطية إى حد ما لتجعل في الامكان وجـود نشـاط اجتمـاعي وجميع اشكـال النشاط المعادي لمصلحة المجتمع؟ إنها فكرة حسنة أن يكون لك رأي في هذا الخصوص.

إذا قررت أن تتبنى مبدأ الذاتانيه يجب أن تعلم بأنه قد يوقعـنك في ورطـة ما لم تجـد وسيلة للانتقال البارع إلى النسبية الثقافية، وهو موقف عقلي لا يخلو من الاخطار، تقول فكرة النسبية الثقافية بأنه ليس لأي مجتمع الحق بأن يحدد ما هو صواب وما هو خطأ بالنسبة لمجتمع آخر، مما يزيل كثيراً من بهجة الحياة، ويجعل العلاقات الدولية كما يمـارسهـا حزب المحـافظين «البريطاني» أمراً مستحيلاً، ويتبع ذلك ان وأد الأطفال قد يكون أمراً خارجاً عن القانون في بريطانيا لكنه قد يكون مقبولاً في غينيا الجديدة، وقد يوقعـك هذا الـرأي في مشاكل خاصة مع المدافعين عن حقوق المرأة.

ربما كان أفضل منهج تتبعه هو منهج ديك هير الذي

علّق بأنه لم يستطع ابداً أن يفهم الفرق المفترض أن يوجد بين الموقفين، وأضاف قائلاً، وبصورة مدمرة، أنه لم يقابل أحداً يستطيع أن يفهم ذلك الفرق. وهذا مثل بارع على أفيد الـوسـائـل التي عليك أن تتبعها: التظاهر بأن ما هو واضح تماماً هو بالحقيقة غامض غموضاً يدعو إلى اليأس، وكل ما في الأمر أن العقول الأضعف لا يمكنها أن تقدِّر تعقيدها المتأصل. كان ويتغنشتاين يستخدم هذا الاسلوب من وقت لآخر لكن هير هو سيد هذه الطريقة، وقد ادعى مرة أنه حقيقه لم يفهم معنى كملة IT («هو» أو «هي» لغير العاقل).

لكن مهما كانت افكارك عن أصول الاخلاق، يجب أن يكون لك موقف من النظرية الاخلاقية، مما يعيدنا إلى القـائلين بنظرية الواجب والالتزامات الاخلاقية، وبالنسبة لصيغ كلاسيكية فإن كَانْت (Kant) هو الاسم الذي عليك أن تستحضره مع «الالزام القطعي» الشهير الذي وضعه بصيغ عديدة مختلفـة في أعماله، وهو خبر جيد، لكن السؤال القائل: «أجل، ولكن أية صيغة من مبدأ كانت تفكر بها؟» عرف أنـه يعمل كالسحر، لكن يمكن التعبير عنه بصورة اعتيادية للغاية لكنها غامضة، كما يلي:

«تصـرف فقط حسب السلوك الـذي تستطيع بموجبه

وبنفس الوقت ان تريد بأن يصبح سلوكك قانوناً عاماً».

يفسر هذا عادة بأنه يعني بأنك يجب ألا تعمل إلاّ الأشياء التي لا تمانع في أن يعملها أي شخص آخر، على أنه توجد صعوبات في هذا، فقد ترغب في أن تأخذ إغفاءة، لكنك لن ترغب كثيراً في أن يشاركك بقية الناس في نفس الفراش.

إن المدافعين الرئيسيين عن نظرية الواجب والالتزامات الاخلاقية في هذه الايام هم رجال الكنيسة وبعض أقسام حزب المحافظين، أما الفلاسفة الذين يشكل معظمهم، على الأقل في حياتهم الخاصة، مجموعة أوغاد لا أخلاقيين (يصدق هذا القول بشكل خاص عن الفلاسفة الاخلاقيين) فيميلون إلى التفكير بواجباتهم أقل مما يفكرون بحقوقهم وإلى نظريات حقوق، يكون لك حق، بموجبها، طالما وجد شيء تستحقه أو شيء يجب أن يسمح لك بعمله دون أن تتعرض لعواقب وخيمة.

إن «مبدأ قابلية الحق لأن يتاح للجميع» مبدأ هام في معظم نظريات الحقوق، ويعني أنه ليس لك حق، أو ليس لي حق إلا إذا كان لكل شخص آخر نفس الحق، وهكذا

إذا اتبعت نظرية الحقــوق مع قابليتهــا لأن تطبق على الجميع، يجب أن تكـون حريصـاً بشـأن الحقـوق التي تدعيها، لئلا يستولي عليها مهرج آخر.

ومع ذلك فإن الحقوق قيِّمة للغاية، وكبداية فإن كل شخص تقـريبـاً يعتقـد أن له حقوقاً على الاطلاق، لديه معتقدات متناقضة عنها (كحق كل إنسان في الحياة مقروناً مع حق المضطهدين في قتل الطغاة) ولا يتطلب الأمر عادة إلا القليل من الفطنة لاكتشاف التناقضات واستغلالها، مما يعـطيك مقـداراً كبيراً من التفوق الفكري ويترك خصمك راغباً جداً في اقتلاع عينيك وهذا كل ما في الأمر.

والعائق بالطبع هو أنك نفسك قد تتهم بتبني مجموعة متناقضة من المبادىء، وإذا حدث ذلك يجب أن تقول بأن المبادىء التي أُوقعت في شرك الاعتراف بها لم يكن يقصد منها بأن تكون مطلقة: وبعبارة أخرى أنه توجد استثناءات تثبت القـاعدة، مهما كان معنى ذلك، وفي ظروف معينة يمكن تحديدها (حاول أن تتجنب تحديدها) فإن احداها لها الاسـبقية على الأخــرى، أي إنــك تعلق بحكمــة بأن مجموعتك الرئيسية مرتبه طبقياً، كما يمكنك أن تشير بوقار إلى أن كل ما في الأمر هو تنسيق عملك الاخلاقي.

كما أنك تصل إلى فرق فني مفيد هو الفرق بين نظريات الاخلاق المركزه على الفعل وتلك المركزه على الفاعل، وكما قد تخمن فان كل هذا هو عما إذا كان المهم حقيقة في الاخلاق هو نوع الشيء الذي نعمله أو نوعيتنا كبشر (لأننا جميعنا نعرف أن أفظع الآفات الاجتماعية يمكنها أحياناً أن تعمل اشياء تنال استحساننا، حتى المحامين) بالطبع فإن أية نظرية معقولة ليست مقصورة على شيء أو آخر، ومن المأمون عادةً أن تقول شيئاً بهذا المعنى دون الخوف من أن تضبطه لأن تذكر النسبة المضبوطه من أيهما، ومن الملاحظات الاستهلالية النافعة القول: «ألا تعتقد أن ذلك يفترض وجود رأي في الأخلاق مركز بصورة زائدة على الفعل؟ (أو على الفاعل، حسبما يكون الحال).

كقاعدة عامة ننصح بأن تكون لديك مجموعة من الآراء غير المستقيمة (والمغيظة) خاصة فيما يتعلق بما يعرف بالمشاكل الاخلاقية الجديدة، خاصة إذا كانت جديدة على الاطلاق، والمشاكل الاخلاقية الجديدة هي صعوبات ناشئة عن حالات تقدم علمي كأطفال الانابيب وإجراء التجارب على الأجنة وما شابه ذلك، كما أن القتل الرحيم الذي يمارس بشكل أو بآخر منذ نشأة الجنس

البشـري يعتبـر لسبب ما مشكلة اخلاقية جديدة. ارفض ذلـك الـرأي بطريقة ملائمة، إذ لا يوجد فرق مألوف بين القتل الايجابي الرحيم والقتل السلبي الرحيم، فالأول هو قتـل فعلي أما الثاني فهو مجرد السماح بالموت. حاول المجادلة بأن هذا الفرق زائف، إذ ان الطبيب الذي يرفض معالجة المريض يقصد أن يميته، بينما توجد لديه وسيلة إطالة حياته، وهكذا فإنه مسؤول عن موت المريض باهماله كما لو أنه أخذ معه ساطور جزار، كما أن تغييراً حاذقاً لهذا الرأي هو القول بأن القتل السلبي الرحيم هو بالفعل أكثر لا أخـلاقيه من النـوع الايجـابي الـذي يمكن التوصل إليه بطريقة إنسانية لا تسبب ألماً، بينما أن الحالة الأولى تضمن فعلاً بأن يموت المريض في حالة ألم متناهٍ، وهذه الحجة فعالة بشكل خاص مع الأطباء، إنها تغيظهم، ولا يوجد في الدنيا إلا عدد قليل من المشاهد أحلى من رؤية طبيب وهو يثب غيظاً.

أمـا بالنسبة للقضايا الأخلاقية الأخرى، سواء كانت جديدة أو متـوسطة العمر أو قديمة، فإن نصيحتنا هي أن تفصل قماشك ليلائم المناسبة، وإذا واجهت مؤيداً لحقوق المـرأة بشأن الإجهاض أو أية قضية تشمل حقوق الاجنة يمكنك أن تسأل بأدب إذا كان حق المرأة في الاختيار يمتد

ليشمل حق القتل ـ يجب أن تكون مستعداً لهذا وأن تكون لديك أسباب جيدة للاعتقاد بأن للأجنة حقوقاً. ليس من الأمور الجيدة في هذا المجال أن تكون كاثوليكياً، وقد يفيدك رأي بنتهام القائل أن المقدرة على تحمل الألم تمنح حقوقاً.

إنه مجال يكافيء الابتكارية الجدلية، على أنه ليس خالياً من المخاطر، لكنه قد ينتج فوائد جمة، اتخذ موقفاً اخلاقياً وحصنه بحجج مناسبة (ليس من الضروري أن تكون سليمة، لكن من المفيد أن تكون قائمة على الواقع ـ انظر المسرد بشأن هذا الفرق الهام)، وستكون على أرض الخصم، وبعد فترة من المحتمل أن تجد أن معظم أصدقائك كذلك، فمثلاً يمكنك أن تجادل بأن الزواج تقليد لا أخلاقي، وهذا أمر سهل بشكل يدعو إلى العجب، ومضايق بصورة سارة خاصة للمتزوجين الجدد ووالديهم، لكننا نتركك لتستنبط التفاصيل ـ بنشاطك الخلاق.

إن علم المنطق فرع من البحث الفلسفي، وهو كدراسة رسمية صعب بشكل شيطاني، ومن الأفضل تجنبه، وكل ما تحتاج لأن تعرفه هو أنه كان جيداً عندما كان الجميع يتعاملون مع قياس ارسطو المنطقي، لكنه تلوث

في القرن الماضي بنشوء المنطق الرياضي، خاصة من قبل غوتكوب فريج (اسم ممتاز لقطع صلتك به، رغم كونه لا سامياً وفاشياً اصلاً) ورسل ووايتهد (سيأتي ذكرهما فيما بعد) يستطيع علم المنطق الجديد أن يقول بعمل أكثر (تقنياً يمكنه أن يعالج منطق العلاقات، العلاقات بين الأشياء وليس عمليات تفكير والد زوجتك) لكنه أصعب بكثير.

ازدادت الأمور سوءاً بنشوء علوم المنطق البديلة التي تعرف بصورة مسلية بعلوم المنطق المنحرفة، والتي تزيد عدد قيم الصدق، وترتاب في صحة بعض قوانين المنطق التقليدية، كقانون «الوسط المستثنى» الذي يقول، تقريباً، إن كل شيء إما أن يكون شيئاً أو لا يكون ـ لكن لا تلزم نفسك بهذا الشأن بأي حال من الأحوال.

بالاضافة إلى علم المنطق الرسمي، وبالطبع ما وراء علم المنطق، يوجد علم المنطق الفلسفي، ومثل عدة أشياء أخرى يبدو هذا الاسم أفضل بلكنه أمريكية ـ جرّب ذلك لتتأكد مما نقول، وهذا مجال واسع، وقد تود أن تعرف بأن نظرية المعنى هي إحدى اهتماماته المركزية لكننا نفضل أن نشك في ذلك، ويمكنك أن تذهب إلى حد القول بأسى بأنه لا يتكن اعتبار أي من النظريات الخاصة

بعلم دلالات الألفاظ وتطورها المتوافرة حالياً في السوق بأنها مرضية تماماً، ولكن لا تحاول أن تشرح السبب بأي حال من الأحوال، ومن المأمون عادة أن تتبنى مجرى التفكير هذا، لأن من أكثر ملامح الفلسفة تفشياً هو أن لا شيء فيها يمكن أن يكون مرضياً تماماً.

نظرية المعرفة

إن كل ما تحتاج لأن تعرفه عن نظرية المعرفة (الابستيمولوجي) هو أن تتمكن من تهجئة اسمها بالانجليزية، أما سؤال: «ولكن كيف نستطيع أن نعرف بأننا نعرف ذلك؟» فهو رائع أحياناً، لكنه يجب ألا يستعمل أكثر من اللازم.

فلسفة العلم

بما أن الفلسفة هي أساساً إحدى وجوه «ما وراء النشاط» يمكن أن يوجد فلاسفة بأي شيء، والعلم ليس استثناء. كيف ينشيء العلماء النظريات؟ ما هي العلاقة بين النظرية والدليل؟ ما هي الطريقة التجريبية؟ كيف تتغلب نظرية على أخرى دون تداول النقود؟ ـ هذه واسئلة مشابهة هي دائرة اختصاص فلسفة العلم، التي ازدهرت خلال الخمسين سنة الماضية لأنها تعطي الفلاسفة إحساساً غير

مألوف بأن ما يعملونه وثيق الصلة بشيء ما، ولأنها مجال آخر يسرون فيه أن يخبروا الناس اين يبدأون.

برز كارل بوبر (اسم جيد) في تطوير المناقشات في الآونة الآخيرة، قائلاً إن النظريات لا يمكن التحقق منها أبداً بل يمكن فقط تكذيبها، وذلك لأن أي مقدار من الأدلة التجريبية لن يتمكن أبداً أن يثبت بالتأكيد أن العالم سيظل يتصرف بنفس الطريقة التي لوحظ أنه يتصرف بها دائماً، بينما أن نتيجة سيئة واحدة، كأن تغلي الماء على درجة ١٢ أو أن توجد شطيرة واحدة صالحة للأكل بين الشطائر التي تعدها مصلحة السكك الحديدية البريطانية، يمكن أن تفند كامل النظرية، وسبب ذلك، حسب رأي بوبر، هو أن النظريات تتكون من تعميمات لا استثناء لها، تقاس بغير استثناء، أو بصورة أسهل على الفهم، تتألف من جمل من صيغة «إن جميع الأشياء هي شيء آخر»، وحسب رأي بوبر يتقدم العلم بواسطة حدسيات جريئه («إن الدنيا مكونة بكاملها من الجبنة») تتبعها تفنيدات حاسمه («لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، فهذه القطعة لا يمكن بسطها على بسكويتتي») والمشكلة في هذا الرأي أنه عموماً كلما كانت الحدسية أكثر جرأة، كلما كانت أكثر سخافة بشكل واضح.

قدم أنـاس متعـددون تفاسير مختلفة، ومن الأسماء الجيدة التي تطرحها اسم تي/اس/كوهن الذي يفضل أن يتحدث عن «تحولات النماذج». ان تثبيت الفكرة صعب للغاية وبهذا فهي لا تقدر بثمن وتعني بوجه عام أن الناس يتوقفون عن النظر إلى الدنيا بطريقة ما ويبدأون بالنظر إليها بطريقـة أخـرى، ومن أكثـر التعليقات تدميراً لبوبر تعليق هيلاري بوثمان (من خواص معظم فلاسفة العلوم أن لهم اسمـاء سخيفـة إلى حد ما) القائل انه إذا كان بوبر على حق، فلا توجد نظرية يمكن تكذيبها، إذ لا توجد نظرية، كما لا يوجد أي إنسان، يشكل جزيرة منعزلة عن الغير، وتتضمن دائماً افتراضات إضافية عن طبيعة الكون، ونظراً لأن شيئاً شاذاً يواجهك، فإن لديك خياراً - اقذف بالنظرية أو بالافتراض الاضافي، أو بكليهما إذا كنت تشعر بأنك مبذر.

ومن الأسمـاء الاخـرى التي تطرحهـا اسم امـري لاكـاتـوس (إذا استـطعت أن تلفـظه) وبول فايرابند وهو فوضوي منهجي باعترافه، يلح على العلماء أن يثبتوا شعاراً لابحـاثهم المثل القائل: «أي شيء يصلح»، وبالاضافة إلى كونه قد استوردكول بورتر للفلسفة، وهذا ما لم يستطعه أي شخص آخر، فإنه معروف بغرابة أطواره كذلك، فقد

كان ينهي محـاضراته في كلية الاقتصاد بجامعة لندن بأن يقفـز خارجـاً من نافذة مفتوحة (لحسن الحظ في الطابق الأرضي) ليمتطي دراجة نارية قوية وينطلق مبتعداً بضجيج صاخب.

المشهد المعاصـــر

الفلاسفة الانكلو ـ سكسونيون:

يميل الفـلاسفة الانكلو ـ سكسونيون (ومن ضمنهم الفنلنديون بالطبع) إلى إنكار أنهم قسم من أية مدرسة أو طائفـة فلسفية والحقيقـة أنهم عرضة لأن يعتبروا الطائفية الفلسفية عادة قارية خطيرة، وبهذا تستحق الاحتقار، ورغم ذلك فإنهم يميلون فعلاً إلى التآزر، كما لو كانوا يسعون للسلامة عن طريق التجمع، وربما لاعتقادهم، وقد يكون ذلك صحيحاً، أنهم بحاجة إلى السلامة.

قبل الحرب العالمية الأولى ربما كان اشهر شخصين في الفلسفة البريطانيه (تذكر بألا تلزم نفسك، إذا استطعت تجنب ذلك) همابراتراند رسل وجي/ ئي/ مور.بنى رسل سمعته بنشر كتاب «مبادىء الرياضيات» الذي شاركه في كتـابتـه ئي /أ/ ووايتهد وهو عرض مفصل للغاية للمنطق الرمزي الرسمي، وبهذا فإننا لا نوصي بقراءته أثناء رحلات

القطار الطويلة، بل حتى نوصي بعدم قراءته على الإطلاق.

رد مور، رغبة منه في ألا يتغلب عليه أحد في استعمال الاسماء اللاتينيه الطنانه (كان كتاب «مبادىء الرياضيات» قد صدر بعنوان لاتيني) بأن أخرج كتاباً بعنوان لاتيني معناه «مبادىء الأخلاق» ادعى فيه أن «الطيبة» لا يمكن تعريفها لأنها اسم صفة غير طبيعية، ومن مفاهيم مور التي تبحث كثيراً في هذا السياق مفهوم «مغالطة المذهب الطبيعي» على أن من الصعوبة بمكان معرفة معناه بالضبط، ويبدو أن فكرة مور هي أنك لا تستطيع تعريف المصطلحات الاخلاقية بمصطلحات لا أخلاقية، ولا يمكنك أن تستنتج افتراضات اخلاقية من افتراضات واقعية لا أخلاقية.

إن هذه الفوضى تجعل مفهوم مغالطة المذهب الطبيعي مفيداً للغاية، خاصة إذا اتبعت طريقة مور نفسه ولم تجادل لماذا يعتبر مغالطة، بل أكدت فقط أنه كذلك، كما يمكنك أن تكمل ذلك في المحادثة وبشكل مفيد بمفهوم آخر من مفاهيم مور وهو «حجة القضية التي لم يفصل فيها بعد» والتي تؤكد أنه بغض النظر عما يصح عن شيء او ملك معين (كأن يحبه الناس مثلاً، أو أن تكون له نكهة الجبنة) إلا أن كونه جيداً أم لا يظل قضية معلقة:

اشتهر مور بطريقته العنيفة الجادة لمعاجلة الفلسفة، فقد ذكر مرة أنه لا يوجد شيء أكثر تأكيداً من حقيقة أن له يدين ـ وليس واضحاً من كان يميل للشك في ذلك.

أما بالنسبة لراسل فإن مساهماته الرئيسية الأخرى بالفلسفة (عدا عن اهتماماته الرئيسية الأخرى التي شملت معارضة الحرب والعنف ورفض االلجوء إليهما لحل النزاعات) تشمل اكتشاف مفارقة راسل التي قطعت كل حجة بشأن نظرية الأوصاف وهي محاولة لتحليل منطق اللغة الطبيعية (تذكر هذه العبارة) وخاصة قضية اسماء العلم، وهذه القضية، مثل معظم القضايا الفلسفية لا تهم أحداً ما لم يكن فيلسوفاً. استخدم راسل كأمثلة جملاً مستعملة في اللغة الانكليزية بانتظام مثل «إن ملك فرنسا الحالي اصلع» أو «كتب ولتر سكوت روايات ويفرلي» والجملة الثانية حسب رأي راسل تعني بالفعل أن شخصاً ما، شخصاً واحداً فقط كتب روايات ويفرلي وإذا كان أي شخص قد كتب تلك الروايات فإن ذلك الشخص كان سكوت. ومن هذا قد يغرى الإنسان بأن يستنتج بأن الفلاسفة يعرفون عن اللغة الاعتيادية مقدار ما يعرفون عن الناس الاعتياديين. (انظر المقدمة.).

إن الموقف الذي يجدر بك أن تقفه من كتاب راسل

المعنـون «تـاريخ الفلسفـة الغربية» هو أن تمدح اسلوبه وظرفه ووضوح فكره، بينما تكون لك تحفظات على محتواه الفعلي «إنه بالطبع كتاب رائع لكنه متحيز قليلاً، ألا تعتقد ذلك؟ إن سؤال ألا تعتقد ذلك؟» سؤال بلاغي ويجب ألا يفهم حرفياً.

ربمـا كان أهم اجتمـاع فلسفي عقـد قبـل الحـرب العـالمية الأولى هو الـذي تم عام ١٩١٢ عنـدمـا قابـل وتنغشتـاين (في مرحلتـه المبكـرة جداً) برتراند راسل في كمبردج، فسأله راسل إن كان معتوهاً تماماً، لأنه إن كان كذلك، فإنه سيصبح طياراً، ثم طلب منه أن يكتب شيئاً، فعل وتنغشتاين ذلك فقرأ راسل سطراً واحداً مما كتبه وأخبره بأنـه أمهـر من أن يكـون طياراً. اعتـرضت الحرب مهمة وتنغشتاين في كمبردج لكنه عاد إليها بعد الحرب في مرحلته المبكـرة وأخـذ يسيطر على الحياة الفلسفية في كمبـردج وغيرهـا للثـلاثين سنـة التالية. كان غريب الأطوار بشكل فاتن، مولعاً بالأفلام المروعة، وكان يعيش في كرسي طويل قابل للطي تحت مروحة كهربائية في غرفة خالية تماماً من أي شيء آخر في كلية الثالوث الاقدس في كمبردج، ولم ينشر في حياته إلا كتاباً واحداً بعنوان لاتيني ترجمته «كراسة

فلسفية منطقية» عالج فيه قضايا مثل بنية الافتراض ، وكيف تكون اللغة ذات معنى وفكرتي الصدق والزور، وقد أدت به ابحاثه إلى الاعتقاد بأن الافتراضات المبنية على أساس الافتراضات الذرية الاساسية التي لها روابط منطقية يكون لها معنى، وهكذا اطلق اسم «المذهب الذري المنطقي» على هذا النوع من الفلسفة، أما كل شيء آخر فإنه بدون معنى تماماً، وهذا الرأي يتخلص من علم ما وراء الطبيعة وأشياء عديدة أخرى، والحقيقة أنه يؤدي إلى النتيجة التعيسة وهي أن معظم الكراسة نفسها، إن كان ذلك الرأي صحيحاً، يكون دون معنى أقر وتنغشتاين في مرحلته المبكرة بذلك قائلاً إن الإنسان لن يتمكن من فهم كتاباته إلا إذا كان يعرف مسبقاً قصده إلى حد ما، وإن فلسفته تشبه سلماً ترميه بعد أن تتسلقه. وقد فهم العديدون هذا المجاز حرفياً، والذي تلخصه آخر جملة في الكتاب حيث تقول: «إن الذي لا يستطيع الإنسان أن يتكلم عنه، لا بد وأن يوجد السكوت منه».

ثم تخلى عن الفلسفة لفترة من الزمن معتقداً بأنه قال كل شيء لكنه غيّر فكره فيما بعد، وهذه هي النقطة الحاسمة التي اصبح عندها وتنغشتاين المبكر وتنغشتاين المتأخر وبهذه الصفة اصبح الشخص الثاني الأكبر نفوذاً

في الفلسفة بين الحربين (بعد وتنغشتاين المبكر)، اعتقد في الكـراسـة إن الافتراضات لها معنى لأنها تشبه صوراً للحقائق التي تشير إليها، أما وتنغشتاين المتأخر فقد خالف هذا الرأي جاعـلاً المعنى شبيهاً بالاستعمال ومعترفاً بأن اللغة العادية أكثر تعقيداً ومعنى مما نسب إليها في مرحلته المبكرة والنتيجة التي جاءت لهذا بعد وفاته هي «التحريات الفلسفية». مات عام ١٩٥١ ومنذ ذلك الحين صدر دفق متـواصـل من الملاحظات وسجلات المحاضرات وقوائم الغسيل والمــلاحـظات التي كان يكتبهـا للمسؤولـة عن سكنه، إلى غير ذلك، مما ميّزه بأنه لم يصدر له إلا كتاب واحد أثناء حياته بينما صدر له حوالي خمسة عشر كتاباً بعد وفاته ـ كما أن هذا الدفق من المنشورات لا يظهر أي دليل على التناقص.

بعد الحرب تركزت الفلسفة الانكليزية في اوكسفورد، رغم أن كمبردج لا توافق على هذا الرأي، عندما وجد كيان غامض اطلق عليه اسم «فلسفة اوكسفورد» أو بشكل أكثر سخرية «الفلسفة اللغوية» وكان ممثلاه الرئيسيان غيلبرت رايل وهو مدخن غليون شهير وجيه/ال/ اوستين وهو مدخن غليون شهير أيضاً. وكان اوستين معروفاً باجتماعات صباح

السبت حيث كانت تجتمع جماعة من الفلاسفة المشهورين ـ المشهورين بصفة خاصة بأنهم جميعاً كانوا يدخنون الغليون لبحث الفروقات الدقيقة البارعة للغة العادية أو للمجادلة في أمور تافهة، حسب وجهة نظرك، كتمييز ستة معانٍ مختلفة لكلمة مثل «عجلة اليد»، ولم يكن غريباً أن اجتماعاتهم أثارت الغضب أو السخرية لدى من استثنتهم لأي سبب كان كعدم مهارتهم بدرجة كافية أو عدم تدخينهم الغليون.

على أن الجميع ـ باستثناء جماعة اوكسفورد، متفقون على أن مركز الثقل للفلسفة الانكلوسكسونيه (حتى القسم الفنلندي منها) انتقل إلى امريكا الشمالية وهو وضع قد يكون مترابطاً بكون الجامعات الامريكية تدفع رواتب ضخمة، كما أن شيخ الفلسفة الامريكية هو ويلارد فان اورمان كواين الذي يذكر لأنه رأى أن تمييز كَانْتْ بين التحليلي والتركيبي (انظر المسرد) عديم الفائدة بارداً أحواله وغامض بأحسنها، ولأنه دعا أحد كتبه «من وجهة نظر منطقية» باسم اغنية مرتجله من أغاني الهنود الحمر.

يضم خلفاؤه سول كريبكه في ميدان المنطق الفلسفي ودراسة الكيفية (لا تهتم بمعناها) والذي يبحث كتابه

الرئيسي «التسميه والضرورة» في أسماء العلم والاحساس والاسناد والعوالم الممكنه وعدداً كبيراً آخر من المصطلحات التي تجدها في آخر الكتاب، ويستحق الذكر العابر ربما كأهم كتاب فلسفي منذ الحرب.

كما أنك لا بد وان لاحظت كيف ان الاسم السخيف في الفلسفة الامريكية يساعد كثيراً، كما كان الحال بالنسبة للفلاسفة الوضعيين (اليقينيين) في فيينا، الذين انتهى العديدون منهم في أمريكا ـ ربما لهذا السبب، وهو انطباع يؤكده الفين بلانتينغا وهو عالم منطقي شكلي وفيلسوف ديني (وهو دمج غير متوازن إلى حد ما) وروبرت نوزيك وهو فوضوي سياسي يميني متطرف يعتقد أن كل شيء يجب أن يحول للملكية الخاصة.

من الفلاسفة الامريكيين الهامين جون رولز الذي راج كتابه الرئيسي «نظرية العدالة» رواجاً كبيراً، يعتقد رولز أساساً أن العدالة يمكن تحليلها إلى مبدأين:

١ـ إن كل شخص يجب أن تكون له نفس الحرية التي لأي شخص آخر، وبناء على هذا الحصر، أكبر قدر من الحرية.

٢ـ إن التفاوتات الاقتصادية بين الناس لا تبرر إلا إذا كان

افقرهم بالحقيقة أفضل حالاً بموجب هذه الترتيبات مما سيكونون حسب أي ترتيب أكثر مساواة.

كن حريصاً بهذا الشأن، إنه ليس سخيفاً كما يبدو لأول وهلة، لكنه يسمح بتفاوتات متطرفة في السلع التي يمكن اعتبارها ضد النظام ـ ما لم تستفد منها بالطبع، ويعرف هذا الشيء بنظرية العدالة التوزيعية، وقد يكون مفيداً.

القاريون:

يأتي القاريون بتشكيلتين رئيسيتين: الفرنسية والالمانية ربما كانت الوجودية أهم حركة فلسفية قارية في الآونة الأخيرة كما أن لها اتباعاً فرنسيين وألمان بشكل خاص.

كان سارتر أهم أتباعها الفرنسيين، كما كان ذا معرفة متعددة الجوانب يحسد عليها، إذ دمج الفلسفة بسياسات ماركسية نشطة، وكتابة الروايات والمسرحيات وطاقة مذهلة لاحتساء الخمر، وقد سك شعار: «الوجود يسبق الجوهر» الذي يعني بصورة عامة إن اهتمامنا بنوع الأشياء يجب أن يكون أقل من اهتمامنا بحقيقة وجودها. والوجوديون يقاومون التصنيفات ويميلون إلى استقلالية الفرد، وبهذا قد

يصابون بنوبة غضب إذا دعوا وجوديين، والوجودية، على الأقل التشكيلية الفرنسية منها، لها اتصالات أدبية قوية، أبرز أفرادها كاموا وسارتر نفسه، ويميل الأدب إلى التركيز على مفهوم العمل العفوي الذي يفترض أن يكون خلاصة تأكيد الوجودي لوجوده الخاص، ولغير الملتزم يبدو عموماً كقطعة من التقلب الدموي العقل، حسب الأهواء العارضة، وبما أن العمل العفوي يميل لأن يكون ذا طبيعة عفوية أو على الأقل منافيه لمصلحة المجتمع فإن العيش مع وجودي (على الأقل وجودي فرنسي) لا بد وأن يكون محطماً للأعصاب.

أما الألمان، ومنهم اثنان يجدر بك طرح اسميهما، وهما مارتن هايدغر وكارل جاسبرز، فمجموعة مختلفة إلى حد ما، ولحسن الحظ ليست لديها ادعاءات بالتفوق الأدبي، ويميل أفرادها إلى أن يكونوا أكثر صراحة بشأن دينهم للفلاسفة السابقين مثل كيركيغارد وادموند هوسيرل وهو مفكر ألماني عاش في أوائل القرن الحالي وطور مفهوماً نظامياً وتيوتونياً كليا لمذهب تعرّف الظواهر، أي محاولة التوغل تحت سطح مظاهر الأشياء إلى حقيقة إدراكنا الحسي الاساسي لها.

لا تحمل الوجودية أي التزام ديني بأي شكل من

الأشكـال، فسارتر كان ملحداً وجاسبرز مسيحياً وهايدغر نازياً، لكن هذه الناحية تنسى عادة وبشكل مناسب. ومن المــلاحظ أنـه في حين أن كتب الفـلاسفـة التي تكتب بالانكليزية تكون لها ثلاثة عناصر في عناوينها مثل: «اللغة والصدق والمنطق»، «الصدق والارجحية والمفارقة» «العقل واللغة والحقيقة»، يبدو أن العدد المطلوب لعناوين كتب الوجودية هو اثنان، كما في كتاب هايدغر «الوجود والزمن» وكتاب سارتر «الوجود والعدم»، ويميل الفلاسفة التحليليون الانكلو ـ سكسـونيون إلى احتقـار الـوجودية لأنها ليست تحليلية بصورة كافية، أما الوجوديون فيميلون إلى احتقار الفـلاسفـة التحليليين الانكلو ـ سكسكونيين لمجرد أنهم ليسوا بصورة كافية.

قلنا في مكان آخر من هذا الكتاب ما فيه الكفاية عن الوضعية (اليقينية) المنطقية، وعلى أي حال فإن أنصارها أكثـر ارتباطاً بالتقليد الانكلو سكسوني، والعديدون منهم فروا من أوروبا وهتلر في الثلاثينات إلى امريكا حيث ما زال رودولف كارنـاب وكـارل همبـل مؤثرين بشكل خاص، وخاصة في فلسفة العلم منذ الحرب، واهم انصار الفلسفة الوضعية المنطقية الانكليز (ومن ضمنهم وتنغشتاين المبكر لا المتأخر) أ/جيه/ ايار الذي ما زالت شهرته مبنية إلى حد

كبير على كتابه الأول، «اللغة والحقيقة والمنطق»، رغم أنه لم يعد يؤمن بالكثير مما يحتويه الكتاب، وهو أمر لا بد وأن يكون مثيراً لحنقه.

وأخيراً يوجد عنصر هام آخر من الفكر القاري لم نذكره حتى الآن وهو مذهب «البنيوية» وخليفته المبهم «ما وراء لبنيوية».

بدأت البنيويه كاسلوب في اللغويات عن طريق سوسور وتوغلت في، علم الإنسان (الانثروبولوجي) عن طريق ليفي شتراوس عندما لم تعد تنظر إلى الوراء، على الأقل في فرنسا ودوائر الأدب الانكليزي في الجامعات الامريكية، ولا أحد تقريباً يعترف الآن أنه بنيوي، ومن الصعب تماماً في هذه الأيام أن نقول بالضبط ما هم البنيويون، على آن من المهم أن تكون لديك آراء قويه عنهم. إن دوائر الفلسفة البريطانية تتجاهلهم تجاهلاً يكاد يكون عاماً، مما يدل على الاهتمامات التحليلية الصارمة للفلسفة البريطانية أو محاباتها المرعبة، اعتماداً على لطرف الذي تقف فيه: تأكد من أن تكون في أحد الطرفين ـ أحدهما فقط ومما يميز البنيوية، وما وراء البنيوية، عدم ثقتها بالانضباط الاكاديمي ورطانتها التي لا يمكن

اختراقها، ومن كبار انصارها **رولاند بارتيز** (في ميدان النقد الأدبي وتشعباته الاجتماعية) **ومايكل فوكو** (التاريخ وعلم الاجتماع، وأخيراً الجنس) **وجاك ديردا** (اللغة والنقد الأدبي والبلاغة) والأخير أكثرهم متعة من عدة نواحٍ وأكثرهم غموضاً مغضباً، وتختلف الآراء كثيراً بشأن مكانته كمفكر، وفيما إذا كان عبقرياً أو مشعوذاً. لقد أزعج بصورة خاصة الفلاسفة التحليليين، (أي الفلاسفة الانكلو سكسكونيين) على الأقل من اهتموا بقراءة شيء من مؤلفاته، وذلك بمحاولته أن يبين أن تحت سطحها المصقول بعناية والذي يظهر الدقة والمنطق والتحليل والبحث النزيه يوجد عمل ذاتي بلاغي كثير الانحياز. إنه يقوم بذلك مستخدماً طريقة تعرف بالتفكيكية، والتي تهدد بأن تصبح صناعة رئيسية في أمريكا الشمالية، وهي أساساً إظهار أن عملاً أدبياً معيناً أو غيره يولّد داخل نفسه تناقضات وتنافرات مميته تنسف الحجة التي يحاول ذلك العمل الأدبي ظاهرياً أن يقدمها.

ربما كان آمن مسلك تتخذه تجاه القاريين المعاصرين هو واحد مما يلي:

أ ـ إن تدعي ما يقولونه عديم المعنى موضوعياً.
ب ـ أن تتبع وجهة نظر الفيلسوف التحليلي وتقول إن

البنيوية، مهما كانت، فإنها ليست فلسفة.

جـ ـ أن تعلق فوراً، وبحذر، بأنها يجب ألا تبحث .

ويفضل اللجوء للخيار الثالث تجاه شخص يتمسك بواحد من الخيارين الآخرين.

بعض الطرق الفنية المفيدة

في هذا القسم نقـدم دليلاً موجـزاً لبعض الفنـون الأساسية الفلسفية الهامة أما بقيتها فيمكن استنتاجها من بقية الكتاب.

١ـ السؤال:

إنهـا دائمـاً فكرة جيدة أن تصوغ ملاحظاتك بشكل سؤال، خاصة إذا لم تكن لديك فكرة عما تتحدث عنه، كمـا هو الحال في ٨٥ بالمائة من وقت الفلسفة، وهكذا يجب أن تفضـل صيغة «ألا تعتقد أن ذلك يستلزم بعض الافتراضات غير القابلة للتصديق؟» على صيغة «إن ذلك يستلزم بعض الافتراضات غير القابلة للتصديق».

٢ـ المراوغـة:

لا تلزم نفسـك بشيء أبـداً، وإذا وجـدت امكـانية للمراوغة وتكاد تلك الامكانية توجد دائماً في الفلسفة، قم بالمراوغة. اترك لنفسك وسائل الهرب، ومن الفوائد الثانوية

لهذا الاجراء أنه يمنحك سيماء الحذر الفكري، كما يجب أن تتبنى جُملاً كالجمل التالية: «يبدو لي على الأقل» (عندما لا يبدو لك)، «أميل إلى الاعتقاد» (حتى عندما لا تميل إليه) «وربما يوجد ما يقال دفاعاً عنه» (خاصة عندما لا يوجد شيء كهذا) والخبير في الفلسفة، كالفيلسوف المحترف، لا يقول أبداً شيئاً لا يستطيع سحبه بهدوء واحتشام عندما تدعو الحاجة إلى ذلك.

٣ـ الإلقــاء:

من المهم أن تلقي مساهماتك في الحديث بالنبرة الصحيحة التي يجب أن تكون بطيئة وموزونه ومتروية. حاول إعطاء الانطباع بأن كل ما تقوله قد فكرت به بعناية، وعندها ستجد أن أسخف هراء يمكن أن يبدو ذكياً وعميقاً.

٤ـ المظهــر:

يفقد العديدون مجداً قيِّماً لعدم اهتمامهم بمظهرهم، وبوجه عام يوجد نوعان من الفلاسفة:

١ـ سوبرمان نيتشه الدقيق والأنيق والذي يرتدي ملابس «لا غبار عليها».

٢ـ الإنسان الوضيع المحطم الشّارد الذهن والمتسم

بالفوضى والقذارة بصورة لا تصدق.

ربما كان الخيار الثاني أكثر شيوعاً، لكن الأول ليس مجهولاً، كما أن الأسلوب الدمث، الباردوالمضبوطيعطي إيراداً عالياً - إننا نوصي بالخيار الأول للنساء إذ إنه يحسِّن فرصة الاستماع إليهن.

٥- التبنيـــد:

يفترض أن تكون الفلسفة نشاطاً نظامياً صافي الذهن يعـالـج القضـايا المـربكة والصعبة بطريقة منطقية ودقيقة وواضحـة ولهذا يجدر بمن يود أن يبدو فيلسوفاً أن يعطي الانـطباع بأنه يقوم بذلك فعلاً بينما هو يقوم فعلاً بعكس ذلك ومن البدايات الحسنة القول: «يبدو لي أن ذلك يثير ثلاثة اسئلة على الأقل» - خاصة إذا لم يثر أي سؤال على الإطـلاق، وكلمـا زاد عدد الأسئلة التي يمكن سؤال على الاطلاق، وكلما زاد عدد الاسئلة التي يمكن أن تثيرها كلما كان ذلـك أفضل، عموماً إلجأ إلى أعداد مرتفعة، فثلاثة اسئله تشكـل الحد الأدنى، وأربعة اسئلة تكون مناسبة، كما أن ستة أو حتى سبعة أسئله تنزل بالخصم دماراً شاملاً. ثق بان الحظ والمهارة سوف يسعفانك في استنباطها أثناء حديثك، وعلى أي حال إذا وجد عدد كافٍ من الأسئلة فإن

خصمك سيخطىء في العد.

٦ـ اللـــوازم:

إننا نتجه الآن للمرحلة المتقدمة؛ ومعظم المتحمسين من المستويات العالية يثبتون أحد اللوازم على الأقل، وبالنسبة للرجال فإن أكثر اللوازم تأثيراً وتفنناً هو الغليون، فالعديد من الفلاسفة الحقيقيين يدخنونه، وربما كان السبب بديهياً: فإذا سئلت سؤالاً محرجاً بالفعل، فإن كل ما عليك أن تفعله هو أن تخرج غليونك من جيب داخلي (ستجد بعد بضعة أيام أن وضع الغليون في الجيب الداخلي يجعل الجيب منفراً بصورة خاصة، لكنك يجب أن تقاسي من أجل فنك ككل شخص آخر) وبعد الإدلاء ببعض التعليقات مثل: «حسناً، إن الأمر المهم حقاً بهذا الشأن يبدو لي على الأقل بأنه....» أبدأ بإشعال غليونك، يمكنك أن تجعل هذه العملية تستغرق خمس دقائق دون صعوبة، وأطول من ذلك بالتمرين، وشريطة أن تقحم التعليق العرضي، ذا الطبيعة غير الملزمة ثباتاً وأنت تخبط غليونك وتنظفه وتكشطه وتنفخ فيه وتفكه وتعيد تركيبه وتعبئه وتوضبه وترصه وتشعله وتتنشقه، وتعيد إشعاله ورصه وتنشقه، ثم تنفخ منه غيوماً ضخمة سامة من الدخان فلا يخطر ببال أحد بأنك تماطل، وإذا عملت ذلك بنجاح،

يمكنك أن تتجنب الإجابة عن السؤال إطلاقاً.

كما أن لوازم وتصرفات اجتماعية أخرى كتقديم السجائر وتنظيف النظارات والتمخط بطريقة طويله قوية، أو حتى اختلاق نوبة سعال، لها فوائدها لكنها لا تتفوق على الغليون، الذي يستطيع لسبب ما أن يجعل من يدخنه يبدو حسن الاطلاع.

٧ـ اللغـــة:

اختـر بضع قطع من الرطانه التي تحب صوتها، ثم استعملها بلا هوادة وتذكر القاعدة الذهبية: لا تقل أبداً شيئاً بالعربية (في الأصل: بالانكليزيه) إذا استطعت أن تقوله بلغة أخرى.

٨ـ المماطلـة:

ليس من غير المناسب أبداً أن تعلق بجدية عميقة بأن عليك بأن تفكر بالقضية أكثر، وهذه طريقة ثنائية التأثير: إنها تعفيك من الحاجة لأن تقول شيئاً يلزمك، وتميل إلى جعل خصمك يشعر بنقص تفكيري ـ وهذا التأثير الثاني يصدق بوجه خاص إذا كان الأمر المعني واضحاً تماماً ـ وتذكر بأن تحاول دائماً أن تعقد الأمور البسيطة.

٩ـ التظاهر بعمق التفكير:

إن هذه الوسيلة مرتبطة بالطبع (لاحظ كلمة «بالطبع» التي إذا استعملت استعمالاً صحيحاً تكون لها قوة كاسحة في المحادثة) بالوسيلة السابقة، فجملة «إنها اصعب كثيراً مما ينسب إليها معظم الناس» هي جملة عظيمة لاستعمالها في الأزمات.

١٠ـ الاختــلاق:

إذا حدث وإن وجدت نفسك في موقف حرج، دون أية وسيلة للهرب، لا تبخس القدرة على الاختلاق قدرها، فقد قال أحـد النـاس مرة بأنه لا يوجد أبداً أي موقف أو مبدأ اسخف من أن يتبنـاه أحد الفلاسفة، وبهذا كن حراً في اختـلاق الفلاسفة حسبما تشاء، ومن الفلاسفة المثاليين لهـذا الغرض فلاسفة ما وراء الطبيعة الألمان المعروفون قليلاً من القـرن التـاسع عشر، يمكنك أن تستخدم اسم **هانيريس نايماند** استاذ فلسفة منتجات الالبان في جامعة بادهمبروغ، وهو رجل رائع، إذ بالاضافة إلى ميزة كونه لم يوجـد ابـداً، فإنه يخرجك من جميع أنواع المشاكل، إذ يمكنك أن تقول في هذه المناسبات: «حسناً، قد يكون هذا الرأي سخيفاً، ولكن نايماند قال به» وسيؤثر هذا القول

عادة كما لو كان حلماً.

ما هو ليس بفلسفة:

من المفاهيم المغلوطة الشائعة أن الفلسفة هي حقاً كالديانه، ومن المواقف الجيدة التي تتخذها في هذا المجال أن تلاحظ أن الفلسفة مهتمة بنسف العقائد والتشكيك فيها، بينما الديانة كلها قبول العقائد ودعمها.

كما تقابل أناساً (إذا لم تكن حريصاً) يدّعون بأنهم مهتمــون بشيء يدعى «الفلسفة الشرقية» أو «الباطنيه الشرقية»، يوجد شيء واحد تعمله عندما يواجهك شخص من هذا النوع: قل له أنه مهما كان وضع الفلسفة الشرقية أو الباطنية الشرقية فإنها ليست فلسفة على الإطلاق، كن حازماً في ذلك، وهذا لا يعني أن نبخس قدر ممارسي هذا الفن الغامض، إذ ان بعض الناس يستفيدون منه.

ملاحظة: كيف تكون باطنياً:

١ـ اخترع بعض التناقضات الظاهرية التي لا معنى لها مثل: «إن النور الحقيقي الوحيد موجود في الظلمه» أو «إن كل خطوة إلى الإمام هي خطوة إلى الوراء».

٢ـ استعمل بعض الأمثال التي لا معنى لها مثل: «إن من

يتكلم مع سمكة الشبوط يكون أكثر حظاً من أن يتلقى جواباً» أو «كلما كانت الشجرة أعلى، كلما كان ثمرها أرفع»؛

٣ـ أعلن أنك تؤمن بإحدى سخافات ما وراء الطبيعة البديهية على الأقل، مثل: «إن كل شيء جميعه واحد» أو «إن الحقيقة الاعتيادية ليست إلا خداعاً قاعدياً بالمقارنة بنور الألوهية».

٤ـ أعلن بطريقة غامضة أن طريق التنور، رغم كونها طويلة وشاقة، يمكن اجتيازها في آخر الأمر، ولمِّح إلى أن إحدى الوسائل الجيدة لاجتيازها هي بالدخول بعلاقة مادية وثيقة مع نفسك.

٥ـ في كل الأوقات ابتسم ابتسامة رقيقة لا يمكن تمييزها لأغراض عمليه عن ابتسامة فارغ العقل.

المســـرد

تذكر القاعدة الذهبية التي تقول إن الأشياء تبدو أفضل بلغات لا يفهمها الناس، ويصدق هذا القول لسبب ما، عن اللغة الألمانية، وهكذا:

«زايتغــايست» روح العصــر، وجهــة نظر الإنسـانية

السائدة في أي وقت من الأوقات، إن وجدت.

«والتـانشـونـغ»: (كلمـة بديعـة حقـاً) النظرة إلى العالم، صورة العالم تمرن على تعليقات مثل: «إنه من الأشياء التي تجبرني غلى تغيير الوالتانشونغ التي احملها عن العالم».

«ايـركنتيس» المعـرفة، وكذلك اسم مجلة اليقينيين المنـطقيين في فيينـا (مثـل اوتـو نيورات، وكـارل همبل ورودولف كارنـاب) والذين كانوا يعرفون باسم: دير فيينير كرايس جماعة فيينا.

سن اونـد بيـديو تونغ: الإدراك والإشارة، تمييز بين نوعين من الدلالة ابتكره فريج «راجع ما ذكرناه عنه سابقاً في هذا الكتاب)، ومن دعائم المنطق الفلسفي الحديث.

غيزامثايت: «مجموعية»، جاءت في قول وتنغشتاين المـأثور: «إن الدنيا هي مجموعية الحقائق لا الأشياء». لكنك لا تستطيع أن تنجو بالألمانية طول الوقت، بل يجب أن يكون لديك فهم (مهما كان طفيفاً) للمفردات الفنية بلغتك.

المنطق: كلمة مفيدة جداً، قد تدل إما على أسلوب

رسمي للاستدلال (كما في قياس ارسطو المنطقي) أو قد تستعمل بدون أحكام لتشير إلى القوة التجادلية لقطعة استدلالية «ما هو منطق تلك الحجة؟» سؤال مفيد توجهه، خاصة إذا كنت في حاجة إلى الوقت للخروج من موقف حرج.

المجادلة: في لغة الفلسفة، عرض منطقي لوجهة نظر، وليس كما في اللغة العادية شجاراً ملتهباً (رغم أن من العجيب أن أحدهما ينحط إلى الآخر في مرات عديدة) وقد تكون قائمة على الواقع، أو غير قائمة عليه، سليمة أو غير سليمة، وتكون المجادلة قائمة على الواقع إذا كانت مكونة من مقدمات منطقية موصوله بحيث انها إذا كانت صحيحة فإن الاستنتاج الذي يتم التوصل إليه منها يكون صحيحاً، ولا تكون سليمة إلا إذا كانت جميع المقدمات المنطقية صحيحة وكانت هي قائمة على الواقع كذلك (وهكذا تضمن صحة الاستنتاج).

الاتساق: سلاح عظيم في يديك، تكون الافتراضات غير متسقة إذا كان من المستحيل أن تكون جميعها صحيحة في نفس الوقت، كما إنك لا تستطيع أبداً أن تشير بما فيه الكفاية إلى عدم اتساق الآخرين، حاول أن تتجنب إتاحة الفرصة لهم للإشارة إلى عدم اتساق افتراضاتك.

الافتراضات: ليست إلا جملاً بسيطة تكون صحيحة أو غير صحيحة، كقولنا: «مرغريت تاتشر من القوارض» ولكن من الغريب أن سؤال: «هل تود أن تعود إلى مسكني لترى مجموعتي من الجبنة الفرنسية القديمة؟» ليست افتراضاً. إن الافتراضات الذرية هي افتراضات أساسية تؤكد شيئاً عن شيء آخر، ولهذا ظنها وتنغشتاين المبكر (ولكن بالطبع ليس وتنغشتاين المتأخر) أسس اللغة.

الاقتضاء: العلاقة بين افتراضات مجادلة صحيحة أو قائمة على الواقع ونتيجتها: إذا كانت «س» تقتضي «ص» فإن «ص» ناتجه عن «س» (من المؤثر أكثر أن تتكلم عن الاقتضاء بدلاً من القول بأن شيئاً ينتج عن الآخر).

الأقوال المغايرة للحقيقة: نوع من الجمل الشرطية يكون فيها القسم الشرطي غير صحيح مثل: «لو كانت للخنازير اجنحة، فإن سيارة الشرطة ستصبح مهملة» إنها ممتعة للفيلسوف لأن من الصعب أن تحلل شروطها الصحيحه كما أنها مفيدة في تعليقات كهذه «لا أدري كيف أفسر ذلك القول المغاير للحقيقه» وتدعى أحياناً شروطاً منطويه على التمني أو الترجي، خاصة من قبل من يودون أن يعلموك بأنهم درسوا اللغة اللاتينيه.

الشروط الصحيحة: الشروط التي يكون فيها شيء ما صحيحاً، مع الأخذ بعين الاعتبار أنها تسبب الكثير من الأزعاج.

التفاهة: ليست كما يتوقع البعض الصفة المميزة العامة لجميع المشروع الفلسفي لكنها مفهوم منطقي، إذ يكون شيء ما صحيحاً بصورة تافهة إذا لم تكن صحته ناتجه عن استنتاج منطقي خاص من شيء آخر، فإذا كانت كل من «س»، «ص» صحيحة فإن «س» صحيحة بشكل تافه، ومن المدهش كم تستطيع أن تزعج أناساً رصينين تماماً بتعليقات مثل: «ذلك صحيح، لكنه بالطبع ليس صحيحاً إلا بشكل تافه».

منطقي:

١- محكم.
٢- (في الرياضيات) عدد نسبي يمكن التعبير عنه كدالة لعددين آخرين.
٣- أي شيء تقوله أنت.

غير منطقي:

١- غير محكم.

٢ ـ (في الرياضيات) عدد لا يمكن التعبير عنه كدالة لعددين آخرين .

٣ـ أي شيء يقوله أي شخص غيرك .

تحليلي وتركيبي :

تمييز مفيد بينّه كانت بين نوعين من الحقائق : الحقائق التحليلية وهي الحقائق الصحيحة فقط بفضل معاني الكلمات التي تحتويها بصورة مستقلة عن موضع الكلمة (مثل : «جميع العزاب غير متزوجين»)، أما الحقائق التركيبية (مثل: لا توجد سمكة تعمل كمغنية اوبرا) فهي صحيحة أو غير صحيحه حسب ظروف تجريبية (ربما وجدت سمكة غنّت على مسرح لاسكالا العالمي) ومن مآسي الحياة أن الحقائق التحليلية، رغم كونها مؤكدة ولا مجال للشك فيها، قليلة الفائدة جداً، بينما الحقائق التركيبية، رغم كونها مفيدة، إلا أنها ليست مؤكدة، لم يوافق كَانْتْ على ذلك بالفعل، معتقداً بأنه قد توجد حقائق تحليلية بديهية كحقائق الهندسة المستوية، لكنه كان مخطئاً لسوء الحظ.

البديهي والاستدلالي: نوع مشابه من التمييز، فالحقائق البديهية بالامكان معرفتها مستقلة عن أية حقائق

تجريبية، أما الحقائق الاستدلالية فليست كذلك.

الحتمي والعرضي: الحقائق الحتمية هي التي لا يمكن أن تكون غير ذلك، أما العرضية فعلى العكس، وهكذا إذا قلنا «إن السيدة تاتشر رئيسة الوزراء» فالقول صحيح عرضياً بينما إذا قلنا «إن السيدة تاتشر هي السيدة تاتشر» فالقول حتمياً صحيح (مما يظهر أن بالإمكان وجود حقائق حتمية تعيسة) كما أن الامريكيين كثيراً ما يستعملون طريقة أخرى للتعبير عن ذلك وهي القول بأن الحقائق الحتمية صحيحة لجميع العوالم الممكنة .

العوالم الممكنه: ابتكار غريب من فيلسوف متخيل، وتعني حالة يمكن أن تسود لكنها عادة لا تسود.

المثالية: كمفهوم فلسفي لا تعني اهتماماً بمصلحة صغار حيوانات الفقمه (أو الاهتمام بمصلحة ممثلات فرنسيات شهيرات مهتمات بجراء الفقمه) أو الاعتقاد بأخوية البشر، ولكن بالفكرة التي طرحها بيركلي والقائلة بأن الأشياء الخارجية ليس لها وجود حقيقي منفصل عن كونها مُدْرَكة، والحقيقة أن المثاليين يجدون صعوبة كبيرة في شرح ما يقصدونه بذلك، لأنهم يميلون إلى الإصرار على أن هذا لا يعني أن الأشياء مضلله ولكن يبدو أيضاً أن

الفرضية التي يقولون بها هي نظرية خاصة بعلم الكائنات، وليست متعلقة بنظرية المعرفة .

الواقعية (المذهب الحسي) الاعتقاد بأن الأشياء الخارجية موجـودة رغمـاً عن كل شيء وليست موجـودة فقط عندما يلاحظها الإنسان على أن الواقعية اصطلاح غامض على أشكال متعددة، وفي فلسفة العلم تشير الواقعية إلى الرأي القائل بأن القوانين العلمية تشير إلى علاقات حقيقية في العالم الطبيعي وهي عكس ذريعية العلم، وهي الفرضية القـائلة أن القوانين العلمية ما هي إلا نماذج تنبؤية، كما يمكنك أن تكون واقعياً بشأن العوالم الممكنة، وأن تقول بأنها موجودة فعلاً ولكن امكانياً فقط، مما يشبه إلى حد ما القول بأنها في الوقت الذي توجد فيه فعلاً إلا أنها لا توجد فعلاً .

الاسمية : القول بأن العموميات (المصطلحات العامة مثل «قطة» و«طاولة») ليس لها وجود مستقل عن مجموعة امثالها، أي عن القطط والطاولات الفعلية التي تشكل قسماً من موجودات وأثاث العالم، وبهذا يعتقد الواقعيون بوجود كيانات عالمية فردية تعلل مقدرتنا على تصنيف العالم إلى مجموعات متجانسة من الأشياء، وقد كان افلاطون واقعياً بهذا المعنى (رغم كونه غير واقعي إلا في أمور قليلة أخرى) .

علم دلالات الألفاظ وتطورها:

إن الفرق بين علم دلالات الألفاظ وتطورها وبين بناء الجمل فرق مفيد يجب أن تعيه، خاصة عندما تتكلم مع المعجبين بالكمبيوتر. إنك تقدم علم دلالات الألفاظ وتطورها عندما تقدم طريقة لترجمة الرموز التي تحتوي عليها إلى شيء ذي معنى وإعطاء ذلك العلم لاحدى اللغات إما أن يفترض مسبقاً نظرية معنى، أو أن يتضمنها، ومن ناحية أخرى فإن بناء الجمل ما هو إلا القواعد الرسمية للنظام، فيما إذا كانت الرموز موصولة ببعضها البعض بشكل صحيح أم لا، وبهذا يمكنك أن تتبع بناء الجمل في نظام ما دون أن تكون لديك أدنى فكرة عن دلالات الألفاظ وتطورها، والحقيقة أن القارىء الفطن يعرف مثالياً كيفية استخدام مصطلحات اللغة حتى دون أن تكون لديه أدنى فكرة عما هي.

المرشد إلى الفلسفة

في هذه السلسلة

١ ـ الجاسوسية
٢ ـ الادارة
٣ ـ الفلسفة
٤ ـ الخطابة
٥ ـ الأدب
٦ ـ الفن الحديث
٧ ـ عملية النشر
٨ ـ الجامعة
٩ ـ الدعاية والاعلان
١٠ ـ المحاسبة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
LE/DIRKAY